



Bibliotheca Alexandrina



0139915

في الممرات

مختار المراسل التي نشرت في « السياسة الأسبوعية »
وطائفة من القطع الأدبية الأخرى جرى بها قلم محرر المرأة

تُرى المراسل الخلق فيهِ ماثلاً
وهذه تُرى الخلق والنفس والطبع
حافظ، إبراهيم

(حقوق الطبع محفوظة)

[الطبعة الأولى]
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٢٧ - ١٣٤٥ هـ

فهرس الكتاب

صفحة		صفحة	
٩٥ ...	طلعت حرب بك معه صورة	(د) ...	إهداء الكتاب
١٠١ ...	» حافظ رمضات بك	(هـ) ...	تمهيد
١٠٧ ...	» ابراهيم وجيهه باشا	١ ...	في حضرة الرئيس
١١٣ ...	» حافظ ابراهيم بك	٧ ...	زيور باشا معه صورة
١٢٣ ...	هدى هانم شعراوى معها صورة	١٥ ...	» عدلى يكن باشا
١٣٣ ...	اسماعيل صدق باشا معه صورة	٢٣ ...	» سعد زغلول باشا
١٣٩ ...	من صدق باشا الى محرر المرأة	٣١ ...	» عبد الخالق ثروت باشا
١٤١ ...	على الشمسى باشا معه صورة	٣٧ ...	» ابراهيم الهلباوى بك
١٤٩ ...	» الشيخ أبو الفضل الجيزاوى	٤٣ ...	» الدكتور محبوب ثابت
١٥٧ ...	» عزيز عزت باشا	٥٢ ...	» الدكتور محبوب أيضا
١٦٣ ...	» أبونا فنع باشا	٥٥ ...	» الدكتور على ابراهيم بك معه صورة
١٦٩ ...	» شوقى	٦٣ ...	» أحمد لطفى السيد بك
١٧٧ ...	» محمد محمود باشا	٧١ ...	» اسماعيل سرى باشا
١٨٣ ...	» مختار (التمثال)	٧٧ ...	» عبد الحميد سعيد بك
١٩١ ...	» الشيخ	٨٣ ...	» الأستاذ فكري أباطه
١٩٤ ...	شيخ السوق	٨٩ ...	» أحمد مظلوم باشا

إهداء الكتاب

الى هؤلاء السادة الذين بعثتُ القولَ فيهم : إنما استوحيت في هذه
« المَرَايا » خلائكم واستلهمت نزعات أنفسكم ؛ فأنتم أحق الناس بأن تُهدى
اليهم . فمن أصاب نفسه في « مَرَاتِه » فأعجبته صورته فليوجه الحمد لله
تعالى الذي سواه على هذا ، فليس لى من الأمر غير النقل والاحتذاء .
والسلام عليكم ورحمة الله ۞

المخلص

محرم المرأة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

سألتى صديق لي كريم المنزلة عندي أن أُنخِله صدرًا من تلك « المَرايا » التي أرسلتها في « السياسة الأسبوعية » لطبعها ويسويها للناس كُتّابًا . وتعدّرت عليه دهرًا لأنني إنما أعانيها على أنها يَبْتُ ساعيتها وحديثُ يومها لا على أنها مما يَبْتُ في الزمان ، لترددِ الأنظار ، واعتياد الأفكار ، وما برح يعتري بالخاصة الكريم ويملك على مذاهب الحجج في مطالته حتى لم أجد لي مفيضا من التسليم . فجمعتُ منها طائفة وضممت إليها ما كتب في هذا الباب شاعر مصر الكبير حافظ بك إبراهيم في حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل ، وما كتَبَ أديب آخر في حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وجعلت أعود على تلك « المرايا » بألوان التهذيب فأرُثُ مارث بالطبع ، واستندرك ما عسى أن تكون قد فوّت العَجَلَة من فنون المعاني ، وأعاج ما أضعفت السرعة من القول وأوهت من نسج الكلام . وأضفتُ إلى هذه المجموعة طائفةً أخرى من رسائل شقي كان قد جرى بها القلم ، على أنها كلها مما يدخل في معنى تلك « المرايا » ويتصل

بجنسها . ثم لقد اعتمدت من ألفاظ هذا الكتاب كل ما يحتاج الى الضبط
فضبطته بالشكل ، وكل ما يحتاج الى المراجعة ففسرته ، تدريباً للناشئين
على المنطق الصحيح . وأمدني بأصدق العون في هذا كله وفي تصحيح
طبع الكتاب الأديان اللغويان الأستاذ أحمد زكي العدوي والأستاذ محمد
صادق عنبر ، وصلهما الله عن الأدب بخير الجزاء .

وصدّرت كل « مرآة » بصورة صاحبها (الكاريكاتورية) من رسم
الفنان الأشهر الأستاذ (سبتيز) . أما صورة الغلاف فقد تفضل بوضعها
الأستاذ الفنان المبدع مصطفى بك مختار محرم ، مد الله في عمر أئامهما رحمة
بالفن الجميل .

ولست أتحدث عن مطبعة دار الكتب فان كل آثارها تحدثك وحدّها
عما أوفى على الغاية من الدقة والجمال والاحسان . ولا يفوتني في هذا المقام
أن أتوه بما لحضرة محمد نديم أفندي ملاحظ المطبعة من همة وخبرة يزيّنهما
حسن الخلال .

وقد راعيت في ترتيب هذه « المرايا » تواريح نشرها في « السياسة
الأسبوعية » فلا تأخذني ، بعد هذا بتقديم زيور باشا في « رجال السياسة »
على سعد باشا زغلول ، ولا بتقديم الدكتور محبوب ثابت في « الطب »
على علي بك ابراهيم ، ولا بتقديم الأستاذ فكري أباطه في « الوطنية »
على حافظ بك رمضان !

تمهيد

(ز)



والغاية التي تذهب اليها « المرأة » هي تحليل « شخصية » من تجلوه من الناس ، والتسلل الى مداخل طبعه ، ومعالجة ما تدسى من خلاله ، ونفض هذا على القارئ في صورة فكهة مستمحة . وهذا النوع من البيان إنما ترويناه عن كتاب الغرب وما فتئنا نقلدهم فيه تقليداً ؛ على أن بعض كتاب العرب من أمثال الامام الجاحظ قد سبقوا الى شيء من هذا التصوير البياني إلا أنهم لم يعدوا فيه تسقط هنات المرء والصولة عليها بألوان التنذر والتطريف . أما التوصل بمظاهر خلال المرء الى مداخل نفسه ومنازع طبعه ، واجراء هذا على أسلوب علمي وثيق (Psychologique) فذلك ما لم أقع عليه في منادراتهم ووجوه تطرفهم .

ولا يذهب عنك أن شأن الكاتب في هذا الباب كشأن المصور (الكاريكاتوري) فهو إنما يعتمد الى الموضع الناقى في خلال المرء فيزيده في وصفه ويبالغ في تصويره بما يتهيا له من فنون النكات . وأنت خير بأن مررّ النكتة الى خلل في القياس المنطقي بإهدار إحدى مقدماته أو بتزييفها أو بوصلها ، بحكم التورية ونحوها ، بما لا نتصل به في حكم المنطق المستقيم ، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى اليه العقل لو استقامت مقدمات القياس ، وهذا الذي يبعث العجب ، ويشير الضحك والطرب . فالنكتة بهذا ضرب من أحلى ضروب البديع . ولا يعزب عنك كذلك أن « النكتة » إذا لم تكن بحكمة التلفيق متقنة التزييف بحيث يحتاج في إدراكها الى فطنة ودقة فهم خرجت باردة مليعة لا طعم لها في مساع الكلام .

ولعلك آخذى بأننى أُسِفُّ أحيانا الى العامية الشائنة فأوردها فى دَرَج الكلام . وعذرى فى ذلك ما تعرف من أننا نكتب بأُغمة و نتناول أسبابنا الدائرة بأُغمة أخرى ؛ وهيات لك أن تجلّى على القارئ صورة كاملة من حديث قوم فى مناقلاتهم ومناداتهم وما تطارحوا من فنون النكات إلا بأن توردته كما نطقوا به ، وبخاصة اذا كان يجرى فى التعبيرات التى تشيع على ألسن الناس وتذهب عندهم مذهب الأمثال ؛ فاذا حاولت أن تؤدّى هذا بفصيح اللغة فسَد الغرض وأختل نظم الكلام . وللامام الجاحظ فى هذا المعنى قول جليل ، فراجع إن شئت فى كتابه « البخلاء » .



وبعد فالرأى ألا نتناول الأقلام بمثل هذا النوع من الحديث إلا أسراً يقوم على شأن عام ؛ على ألا تتره حقاً ولا تُضيف اليه ما ليس له ؛ وعلى ألا تُتدسّس الى مكارهه ولا تطلب من مستور هناته ما لا يتصل بالشأن العام ؛ فاذا هى اعترته بعد هذا ألوان التندر كان حقيقاً بها ألا تصير وجه القول الى الرغبة فى تهاونه والتهزئ به والكيد له . وهذا ما تحرّيته فيما عابحت من هذه (المرايا) فان يكن قد ندّ القول بعض الحين فإننى آمرؤ ينبو على القلم ، وتزل بى القدم ؛ رانى أستغفر الله وأسأله العافية .

(*) في حضرة الرئيس

ملء السمع، ملء القلب، ملء البصر. لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيماً ما استطاع، وهيئات لا يرى أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله! وقد سوى الله له هذه العظمة من يوم مدرّجه: فكان طالباً عظيماً، وكان مدرّساً عظيماً، وكان قاضياً عظيماً؛ ثم تهاوت اليه زعامة أمة فهو فيها ملء السهل والجبل.

بحسبك أن تراه لتعرف أنه سعدٌ ولولم يوحى إليك أحد بأنه سعد، وكيف يختلط عليك أمره وهذه يد القدرة قد دلت عليه بدلائل تنبئك بأنه، وإن كان من الناس، إلا أنه أعظم الناس.

بسطة في العلم والجسم، بسطة في العقل والحلم. وعزم تترايل الجبال دون أن يتزلزل، ويقين تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول، ومنطق يصول في الجلي حتى لتحسبها الجحافل قد تداكت بسيوفها وعواليها، ويلطف في السمر حتى لتمثل أسراب الكواكب وسوسات حليها وتضوعت منها عواليها.

وما إن رأيت ولا سمعت برجل فسح الله تعالى له في البيان وأمكنه من نواصي الحجة كما فسح لسعد ومكّن لسعد. ولقد نتقدّم لمباراته في الأمر تظن

(*) نشرت بجريدة الأهرام الصادرة في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦ عقب زيارة محرر المرأة لدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول بمسجد وصيف.

أنك قد بلغت منه الغاية ووقعت على الصميم وتمنعت منه بالحصن القوي،
فما هو إلا أن يرسل عليك الحجّة حتى ترى أنه ملك الرأي عليك من جميع
أقطارك، وأنك سرعان ما وقعت أسيرا في يديه تتقلب فيهما تقلبا، وهيمات
لك الخلاص إلا بأن تنزل في أمرك على الإذعان والتسليم ! .

وإن أنس لا أنس ليلة مضت من عشر سنين حاور فيها مستشارا كان
في محكمة الاستئناف، معروفا بشدة الجدل، في مسألة فقهية، وكلما انحط
الرجل فيها على رأى أزعجه ساعد فطار الى غيره، حتى اذا ظن أنه تمكن
في الخُوصه^(١) ثار عليه بالحجة فوثب الى سواه، وما زال به صدرا من الليل
ينبُشره ويطويه، وينقله من رأى الى رأى، ويحوّله من قول الى قول، حتى
داخ الرجل ووهن، ولم يبق فيه فضل لجوار ولا جدل ! .

ولا أدري أكان ذاك من سعد مجرد تهّد للرأى وتعقّب لموطن
الصواب، أم أنه إنما كان يتلعب بالرجل تلعبا لينزله على معرفة قدره، ففي
نفس ذلك المستشار غرور وفي أنفه ورم ! أم هي الخيّلة^(٢) تبعثها في النفس
شدة التمكن من النفس، وإنه ليلدّها أحيانا ألا تمتعك بذلك الواقع الذي
اطمأننت به والحق الذي استرحت اليه، فما هو إلا أن تصول بالحجة عليك
حتى ترى أنك إنما كنت تقبض على الهواء، وأن صرحك الذي أقمته تفرّق
عنك تفرّق الهباء، فتتولى منخدلا عن يقينك وقد ضربك الشك : أكنت

(١) الأنفوس : مجثم القطاة وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه لنبيض فيه .

(٢) الخيّلة : الكبر .

مخدوعا عن الواقع؟ أم أن هذا الواقع دون قوة سعد فهو يصرفه بحجته كيف يشاء؟ ... لا أدري يومها ماذا كانت إربة الجبار . والله أعلم ! .

وسعد قد علت به السن وشاب رأسه ، على أنه ، بسط الله في عمره ، مازال يرح من فطنته القوية في أفق الفتوة وأمرع الشباب . ولو كُتِب لك الظفر ساعة يجلس هذا الذي دَوَّت الدنيا كلها بجده لنعمت بما لا ياحقه الوصف من عذوبة طبع في عذوبة مجلس ، وحديث كأنه قطع الروض ^(١) رف أسسه ونسرينه ، وتضوُّع ورده ويأتمينه ، وبديهة كأنه يقرأ منها في كتاب ، وكأنها تستوحى الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب . ونادرة تُشيع فيك الطرب ، وتمزك من إعجاب ومن عجب ، إذ هو فيما يرسل من القول ، في جده ومزاحه ، لا يعدو ما ينبغي له من تحشم ووقار .

ولأنه ليقبل عليك بكل لطفه حتى يُفرخ روعك ، ويفسح لك في جوانب القول لتقول ، وأنه ليباريك في منزلك ، ويدارجك في حديثك إلى أن يرسلك على سجيئت ويسترسل معك ، حتى إذا اطمأنت إليه وظننت أنك في مساجلة رجل مثلك ، خانتته عبقريته ، فوشب به ذهنه إلى ما لا يتعلق به ذهنك ، فإذا أنت قد طرت كل مطير ، وإذا الطبيعة تأبى برغمك ورغمه إلا أن تشعررك أنك في حضرة سعد زغلول ! .

يا لله من هذا الرجل ! ولأنه ليعرض في الأمر فيقول فيه مقالا ، وإنك لتقدّر له بادي الرأي غاية ما تعاهد الناس من حجة ، وأقصى ما تعارفوا من دليل ، فإذا هو قد وقع في تدليله على ما لم تقع عليه ظنون الناس ، وارتفع

الى ما لم نتعلق به أذهانهم ففتح في المنطق فتحا جديدا وأتى بما يهز ويروع ،
وكيف لسعد ألا يرتفع على مذهب حجة الناس ، وقد رفعه الله على الناس ؟ .
وسعد وافر الشعور بعظمته ، مزدحم الشعور بأنه إنما يتحدث على
آمال أمة ، فهو مهما بارى المجلس في فنون أحاديثه ، ومهما تدلّى به السّمَر
الى تلك الأسباب الدائرة بين الناس ، يرفّه بذلك عن نفسه وعن صحبه ،
يطفّر الفينة بعد الفينة الى حديث الوطن فيشك فيه معنى جليلا ، ثم يعود
فيصيب ما شاء الله من حديث القوم . أعلمت أن سعدا لا يصلح إلا للوطن ،
وأن الوطن لا يصلح إلا بسعد ؟ .

أريد أن أكتب عن سعد ، ومن الغرور أن أظن بقلمي الوفاء بوصف
سعد مهما تفرّج له في جوانب البيان ، فان البيان إنما يجري في غايته الى
ماتعاهده الناس من الطبيعة ومن الناس ! أما تلك الانفجارات الإلهية التي يرسلها
الله تعالى في العصور الطوال ثَنِيًّا ^(١) بعد ثَنِيٍّ ليقيل أهل الأرض الزلّة ،
ويهدّهم من الضلّة — فذلك ما تعجز عنه اللّغى ويقصر من دونه البيان .

وبعد فاذا أردت أن تصف للناس سعدا فلن تستطيع أن تصفه بأبرع
من لفظة (سعد) فقد جمعت من وجوه المعاني ما لا يبلغه الكلام ، وان قدرته
العقول وتعلقت به الأفهام .

(١) وقتا بعد وقت .



لإتقاد ما يُمكن إتقاده ! ...

زيور باشا . . . ؟

أما شكله الخارجى وأوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية
فذلك كله يحتاج فى وصفه وضبط مساحاته الى فن دقيق وهندسة بارعة .
والواقع أن زيور باشا رجل — اذا صح هذا التعبير — يمتاز عن سائر الناس
فى كل شىء ، ولست أعنى بامتيازهِ فى شكله المهول طولهُ ولا عرضهُ ولا بُعد
مداه ، فإن فى الناس من هم أبَدن منه وأبعد طولاً وأوفر لحماً ، إلا أن لكل
منهم هيكلاً واحداً ، أما صاحبنا فاذا اطلعت عليه أدركت لأقل وهلة أنه
مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصت ولا كيف تعلّق بعضها
ببعض ، وإنك لترى بينها الثابت وبينها المتخلج ، ومنها ما يدور حول نفسه
ومنها ما يدور حول غيره ، وفيها المتنبّس المتحجّر ، وفيها المسترخى المترهل .
وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شعافها الى الأمام شعبةً
طويلة أطلّ من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان ، طلّة من يرتقب
السقوط الى قرارة ذلك المهوى السحيق !

وإنك لتجد ناسا يصفون زيور بالدهاء وسعة الخيلة ، بينما ترى آخرين
ينعتونه بالبساطة وقد يتدلّون به الى حد الغفلة ، كما تجد خلقا يتحدّثون
بارتفاع خُلُقهِ وتنزهه عن النقائص ، إذ غيرهم ينحطون به الى ما لا تجاوره
مكرمة ولا يسكن اليه خلق محمود !

كذلك زيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة : فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورعيد ، وهو ذكي وغبي ، وهو طيب وخبيث ، وهو داهية وغير ، وهو عالم وجاهل ، وهو عفت وشهوان ، وهو وطني حريص على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يوجد منها بالطارف والتلاد ! !

كل أولئك زيور ، وكل هذا قد يضيفه الناس الى زيور فلا تكاد تسعهم بحاجتهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب . واذا كان هذا مما لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد فقد غلط الناس اذ حسبوا زيور رجلا واحدا ، والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الصحيح هو عدة مخلوقات لا تدرى ، كما حدثتك ، كيف اتصلت ولا كيف تعلق بعضها ببعض ! فاذا أدهشك التباين في أخلاقه ، ورايك هذا التناقض في طباعه ، فذلك لأن هذا الجرم العظيم الذى تحسبه شيئا واحدا مؤلف في الحقيقة من عدة مناطق لكل منها شكله وطبعه وتصوره وحظه من التربية والتهديب : فمنها العاقل ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ومنها الغر ، ومنها الكريم ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها اچركسى ، ومنها الفرنسى ، ومنها الانجليزى ، ومنها المايطى الخ ؛ كل منها يجرى في مذهبيه ويتصرف في الدائرة الخاصة به ، فلا عجب اذا صدر عن تلك المجموعة الزيورية كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات !

والظاهر أن زيور باشا برغم حرصه على كل هذه التملكات الواسعة ، عاجز تمام العجز عن ادارتها وتوليها بالمراقبة والإشراف . وما دامت الإدارة المركزية فيه قد فشلت كل هذا الفشل فأحرى به أن يبادر فيعلن إعطاء كل

منها الحكم الذاتي على أن تعمل مستقلة بنفسها على التسريع في سبيل الرقي
والكمال، وحسب عقله، في هذا النظام الجديد، أن يتوافر على إدارة رجله
وحدهما، ولعله يستطيع أن يسيّرهما في طريق الأمن والسلام !



وإني أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على ما في هذه المجموعة الغريبة من
ضروب المتناقضات التي تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئا واحدا وإنما هو
في الحقيقة عدّة أشياء :

فزيور باشا معروف بالقناعة والتعفف عن الابتذال في إحراز الأموال،
ولكنهم في الوقت نفسه يقولون إن جميع نفقات الولايم التي أقامها في مصر
وفي أوربا قد تناولها من « المصاريف السرية » بينما هو يقبض من خزانة
الدولة ألف جنيه لهذا الغرض في كل عام !

ومما يحسن ذكره في هذا الموضوع ما تحدّثوا به من أنه لما زار أوربا
في الصيف الماضي طاف بجميع المفوضيات المصرية هناك فسلّ كلّ ما فيها
من « المصاريف السرية » حتى إذا علم أنه قد أتى على كل ما في مفوضية
باريس من هذه الأموال ولم يدع لها قرشا ولا بارة أرسل تلغرافا الى مفوضية
لندن لتسيعفه بكل ما عندها من النقود !

ولقد تعلم أحيانا عن زيور باشا حرصه على مصالح الدولة، على أنك إذا
عابته على إسراف الحكومة في عهده وابتذالها لأموال الدولة بهذا الأسلوب
الفادح أجابك من فوره « ان مصر غنية » (l'Egypte est riche) !!!

ولقد تعرف في زيور باشا طيبةً في القلب وسلامة في الخلق ، ثم لقد يظهر لك فيه من المكر وترى له من أنواع الدس ما يعيا بمثله أخبت الشياطين . ولقد ذكروا أنه كلما التقى بسعدى أنب قومه على اتفاقهم مع « ألد أعدائهم » الأحرار الدستوريين ، وإذا أصاب حرا دستوريا قال له : كيف يصح أن تتحدوا مع أولئك « المجانين المخربين » !

ولقد كان شديد الشكوى من نشأت باشا وبسطة يده في كل مصالح الحكومة ، فإذا قيل له : وكيف لا تحقّقه عن هذا وأنت رئيس الحكومة؟ بسط كفيه ورفع رأسه الى السماء وأجاب : وهل يستطيع أحد أن يعمل شيئا ؟ فلما أُقيل نشأت باشا من السراى جعل زيور يُقبل على كل من لقيه يتمدّح بأنه هو الذى أخرجه ووقى البلاد شرا عظيما !

وقد يعرف عنه بعض الناس قلة الخير ومع ذلك فإن له صاحبا ورفيقا من رفقاء الصبا هو (ص بك غ) وله ولد يطلب العلم في باريس فعينه في مفوضية باريس في وظيفة غير موجودة !

وعلى هذا الصديق دين لبعثة المرسلين الإفريقيين في مصر وقد استهبط الربح فوسّط في الأمر صديقه زيور باشا الذى قصده الى روما في تجواله بأوروبا في العام الماضى ، ومع ما يُعرف عن دولته من أنه تحريج مدارس الجزويت وأنه أخذ عنهم الدهاء والمكر وبعث غور النفس ، فقد طلب مقابلة قداسة البابا نفسه وخاطبه في الأمر وسأله التخفيف من دين صاحبه ، والبابا أحاله على وزير خارجيته الكاردينال جاسبارى ، وبعد أن سمع هذا من رئيس

وزراء مصر كل ما أراد أن يقول هنز كتفيه وقال له : (Chi ricevuto paga)

أى « على من أخذ أن يدفع » وكان على زيور باشا أن يعرف ذلك !

تلك بعض آثار هؤلاء الذين يدعونهم زيور باشا ، فاذا تمثّلوا شخصا
وبدّوا للعيون رجلا واحدا فذلك مصداق قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وإن أهل مصر ليعخذون زيور باشا كله بما لا يخصى من الجرائم على
القضية الوطنية ، وإنهم ليعدون عليه سفهه في أموال الدولة واستناره
بمصلحتها ، وإنهم ليعسبون عليه إيثاره الأهل والأقربين والأصحاب والمحبين
وذوى أرحامهم بمناصب الدولة ومنافعها ، وقد يكون لمجلس النواب مع هؤلاء
الرجل شأن اذا أقبل يوم الحساب !

وإن ظلما أن يؤخذ البرىء بجريرة الآثم ، وإن عسفا أن يعاقب المظلوم
بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذى اقترف كل هذه الآثام هو كوع زيور باشا
الأيسر ، أو القسم الأسفل من (لغده) أو المنطقة الوسطى من نفذه اليمنى ،
أو غيرها من تلك الكائنات التى تجمعت في هيكله العظيم ، فما شأن تلك
المخلوقات كلها تُجرى الى مواطن الاتهام ، وتعاقب بما ارتكب بعضها من الجرائم
والآثام ؟ ! .

إن الحق والعدل ليقضيان أن يؤلف مجلس النواب ، ان شاء الله ، لجنة
تقوم بعمل التحقيق في جسم صاحب الدولة فتسأل أعضائه أعضاء عضوا ،

وتتحقق مع اشلائه شلوا شلوا، حتى يُفَرِّق منها بين المحسن والمسيء، ولا يُخَلِّط
في العقوبة بين المجرم والبريء .

ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما ارتكب من الآثام هو مخ
زيور باشا، فما أحسبه شارك ولا دخل، في شيء من كل ما حصل !



وبعدُ فإذا كان هناك وصفٌ جامع وخَلَّةٌ مشتركة لهذه الخلائق التي
تجمعت لجسم زيور باشا حتى انتظمت فيه شَعْبًا واحدًا فذلك أنه قسيس
جزوي في جلد رئيس وزارة مصري، فقد تربى زيور في مدارس الجزويت
كما قلت لك، وتخرج عليهم وتخلَّق بأخلاقهم . فإذا رأيت في طبعه سهولة
وفي نفسه بساطة فذلك لبعد غوره حتى ليُخْفِي عليك ما في نفسه من مكرودهاء !
وفيه صفة أخرى جامعة أيضا هي شِدَّةُ احترامه « للبرنيطة » وعمله على
إرضائها بكل الوسائل، فما عُرِفَ أن زيور ردَّ في حياته طلبا « لبرنيطة »
مهما كان حاملها في الناس، حتى لقد زعموا أن بعض كبار علمائنا الأعلام،
مصاييح الدجى وعمد الإسلام، بعد ما أعياه الكد والجهد وشِدَّةُ الطلب
والسعي وطول الوقوف بالأبواب، والتردد بين مختلف الأحزاب، في سبيل
وظيفة خالية عَزم أخيرا على لبس القُبَّة لعله يحظى في هذه الأيام، بمَعُونَةِ^(١)
زيور على إفتاء الديار أو مشيخة الإسلام . ومولانا الشيخ المذكور، بوجه
خاص، لا يعدم ألف فتوى من الشريعة، تُحَلِّلُ له هذه الذريعة .

(١) نشرت هذه المرأة وزيور باشا في رئاسة الوزارة .



لا مُعَقِّ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا كُفُّ عَجِيبٍ فِي عَيْنِهِ بِعَجِيبٍ

عدلى يكن باشا

أسمر اللون فى شحوب، إلا أن ما يخالط سمرته من صفرة حلو مستعذب .
 يمتاز بقليل من الطول وكثير من العرض ، فهو بعيد ما بين الكتفين حتى
 ل تعرفه موليًا كما تعرفه مقبلا . مستوى معارف الوجه ، حديد البصر، اذا قُدر
 لك أن يحدق فيك شعرت أن نظره لا يستقر على سطحك بل إنه ليتغافل
 فى أطوائك ويصل من نفسك الى كل ما ترضى به على الابتذال . وادع
 ساكن تجلجل الدنيا من حوله وهو ثابت ثبات الهرم الأكبر . ولقد تجلس
 اليه تحدثه فى شئون الدنيا فتطالعه بأجل أحداثها فلا يتقبض ولا يتخلج،^(١)
 الا أنه يستلقى على كرسية ثم يدس يسراه فى جيبه ويدير بيناه رزمة من
 المفاتيح . وتحسب أن ذهنه ليس عندك اذ هو عندك كله لا يفوته من
 حديثك قليل ولا كثير .

وكانت لجنة الدستور، وزاره بمحضرى رجل من أعضائها، فسأله ماذا
 صنعتم اليوم ؟ فقال له كما نتناقش فى موضوع (كذا) فاستوى عدلى على
 كرسية ولبث ساعة يتدفق بالحديث فى ذلك الموضوع ويورد كل مذهب
 علماء الدستور فيه ، يعلل كل رأى ويوجه كل مذهب فى بلاغة وفصاحة
 قول ودقة تعبير، وخرجنا وصاحبي يضرب كفا بكف، ويزعم لى أنه لو حلف
 بكل مؤمنة من الأيمان أن عدلى كان حاضر بلختهم ما حث ولا أثم !

(١) يضطرب .

شديد القصد فى حديثه ، فاذا أذن الله وتكلم فهو حلو الحديث رخيـ
الصوت ، بارع المطلع ، رائع المقطع ، يُصيب المحزّ ويقع من فوره على الباب .
تشعر أنه خلص الى الغاية وأصاب صميم النزاع دون أن يعلّق بقوله شىء من
وضّير الجدل وما لا تدعو اليه حاجة الكلام .

لعل عدلى قد جاوز الستين ، وأحلف بدورى أن مصر لو كانت عاشت
عيشا طبيعيا خاليا من الأحداث والعظائم ما كان له فى الدنيا أثر ، ولا جرى
له على لسان جمهرة المصريين ذكر ولا خبر ، فلقد نجم عدلى باشا فى مناصب
الحكومة كما نجم غيره من الناس موظفا صغيرا فى وزارة الداخلية ، وما برح
يتقلّب فى فنون الأعمال العامة حتى أصبح وكيل مديرية فديرا فمحافظة للعاصمة
فديرا لديوان الأوقاف فمتقاعدا فى داره فوكيلا للجمعية التشريعية فوزيرا للمعارف ؛
لا يمتاز فى شىء من ذلك الا بالنبل والكبر على الصغائر والترفع عن سفاسف
الأمر . وكل ما كان له فيما عالجّه من الأعمال من صحة الرأى وصدق التدبير
وحسن التنظيم ، فما كان ليذكر له شىء منها الا بالسن من شأرفوه ومن عَمَلوا
معه . أما عظمة عدلى وأما شهرته الخالدة على الزمان فهو مدين بهما للجلّى
وللأحداث العظام ؛ فلولا جسيّات الأمور لكان عدلى رجلا مُدرجا فى عداد
سائر الرجال .

ولقد كان وزيرا للمعارف فى وزارة رشدى باشا فى سنة ١٩١٨ وتهادنت
الدول المحتربة الهدنة العامة وشمرت لعقد الصلح وتوقع المتطيطرون أن تكون
مصر من حصّة انجلترا فى سَلْب تركيا المقهورة ، فنهض رشدى ومعه صاحبه
عدلى وناجيا الانجليز بأنهما يريدان أن يشخصا الى انجلترا ليراجعاها فى حقوق

مصر التي ضُحّت بما ضُحّت من الرجال والأموال في نُصرة قضية الحلفاء .
وتناقل الانجليز عنهما وتعللوا باشتغال ساستهم عن لقاءهما بالاستعداد
لمؤتمر الصلح ، وخاف رشدى وعدلى أن تُفلتَهما الفرصة ، وكَرِهَا الصبر على
الهِصِيمة فنَفَخَا في الحركة الوطنية من رَوْحِهما القوي وراحا يُؤازران الوفد
المصرى ويشدّان عضدَه من جهة ، ويشترعان للإضراب للوظفين
ويستحيسان الجمهرة من جهة أخرى ، حتى كان من أمر النهضة المصرية
في سنة ١٩١٩ ما كان . وتلك أولى عزائم عدلى التي يحصيها له الجمهور .

وهبط ملنر مصر والوفد قائم في باريس ودارت اللجنة هاهنا وهاهنا لعل
أحدا يعاطيها أو يقاومها ، فاستمسك الناس كلهم عنها ولم يُؤاتِها منهم أحد ،
فعازت في النهاية بالثلاثة الأعلام : رشدى وعدلى وثروت ، فصارحوها
بأنها إن أرادت الحد ، فلا تفاوض في شأن مصر غير الوفد ، فلتَمِضْ الى
باريس فهناك الحديث . أما في مصر فلن تجد ، مهما طال بها المقام ، ثلاث
قطط تحدّثها في شأن البلاد !!

وانكفأت لجنة ملنر الى لندن واستشرفتُ حقًا لمفاوضة الوفد ، اذ الوفد
لا يتحول الى لندن دون أن يستبين موضع خَطْوِهِ ، ويريد ، وبين يديه رجاء
أمة ، أن يعرف فيمَ مذهبُه وأين يقع حديثُه ؛ وكيف تكون غاية أمره .
فدارت الانظار كلّ مدار فلم تقع لهذا المهم الا على عدلى فدعاه الوفد فلجّ
الدعاء وشخص الى باريس فلندن فهُد الطريق ووطأ أكناف السياسة هناك ؛
وكان خير معوان للوفد على أداء مُهمَّه الخطير .

وَأَلَّفَ الوزارة في صدر سنة ١٩٢١ وشيخَّص الى لندن في وفد رسمي وفاوض كرزن وأَدَلَّى اليه بحقوق مصر وأمانيتها كُلِّها، وأبى أن ينزل على ما أراد الانجليز أن ينزلوا مصر عليه، ففقطع المفاوضة وعاد من فَوْرِهِ مرفوع الرأس موفور الكرامة، وما كادت تستقر قدمه حتى استقال من منصب الوزارة استقالته الكريمة النبيلة .

واليوم وقد تخرَّجت الأمور، وتصدَّت القوة بكل ما عندها لتنال من مصر فلا يلتفت زعيمها الأكبر الا الى صديقه عدلى . وكذلك كان شأن عدلى دائماً تلتفت مصر اليه كلما نزلت بها الأحداث الجسام .

وبعد فلقد تحسب عدلى رجلاً عظامياً تلقى المجد عن آباءه العظام الفاتحين . والواقع أن عدلى يكن رجل عصامي بأجمع معاني الكلمة، وقد لا يَعْدِلُهُ في عصاميته هذه رجل آخر في البلاد .

فأنت تعرف أنه ابن نعمة نشأ في الحسب، وتقلب أعطافه في الترف، وأغناه الله عن طلب العلم وكَدَحِ الذهن ومطاولة حوادث الدهر، وَلِدَاتُهُ^(١) كثير وأكثرتهم — وبخاصة في الزمن الذي نجم فيه عدلى — لا يقع هواه الا على مَهَارِشَةِ الدِّيَكَةِ، ونِطَاحِ الْجَبَاشِ، والملاعبة بالحمام، ومعاشرة المتبطلين، والافتتان في وجوه اللذات، والغباء الكامل عن كل ما يعنى البلاد، فهل صدقتني أن عدلى رجل عصامي حقاً اذ خرج عن هذه البيئة فكون نفسه كل هذا التكوين وعارك من الحوادث ما عارك حتى أصبح من أعظم الذخائر التي تعتدُّ للبلد

(١) لداته : أترابه الذين ولدوا معه وتربوا .

فى البلاد ؟ وحسبُه ما وصفه به صحفى من أكبر الصحفيين فى أوروبا :
 انك حين تلقى عدلى باشا فكأنك فى حضرة أعظم الوزراء فى «دوننج استريت»
 أو فى «كيدورسيه» .^(٢)

وإن من يعرفون عدلى ليعتدون له عيوباً ، ويخصون عليه آثاماً وذنوباً ،
 وسبحان من تفرد بالكمال .

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معاييه

فهم يحسبون على طباعه أنه ما بريح « ابن ذوات » فهو قليل الاتصال
 بالناس ، شديد التحفظ بنفسه عنهم ، لا يزورهم ولا يستريحهم ولا يستريح الى
 مجالستهم . ومهما توافى له انسان وتعلق بحبه فهو لا يطالعه بالهناء اذا دخلت
 عليه نعمة ؛ ولا بالمواساة اذا مسه الضرر ، ولا يعودده اذا مرض ولا يشيع
 جنازته اذا مات ! واذا طلبه صاحبه لحاجة عامة أو خاصة حيره وشئت
 سعيه ، فاذا أراداه فى البيت قالوا له فى «الكوب» واذا وثب الى «الكلوب»
 قالوا فى البيت . ويحلفون على أن اقتحام قلعة للألمان وقت الحرب العظمى
 أيسر من زيارته فى بيته !

ولو قد كُتِبَ لى أن أصبح هيئة سياسية واحتجّت فى شأن البلاد الى
 سعى عدلى باشا لوكلت به (عصبة) من أولاد البلد أولى القوة والفتوة
 فتسأله فى صباح كل يوم ، وأرادوه على المشى ساعتين فى الأحياء الوطنية ،
 وأكرهوه على أن يفشى السلام ، ويومئ بالتحية لكل من لقيه ؛ حتى اذا جُهِد

(١) مئوى الوزارة الانجليزية . (٢) مئوى الوزارة الفرنسية .

به ردّوه فأجلسوه فى البهو وفتحوا الأبواب بين يديه وكلموا دخل عليه زائر بعثوا وجهه بالهشاشة ، ويديه بالتحية ، ولسانه بنحو : « أهلاً وسهلاً ومرحباً . زارنا النبي — شرفتنا . آتستنا » الخ ثم صفق بيديه فدعا بالقهوة وعرض على الزائر « نرجيلة » فاذا ردّها قدّم له سيجارة فسيجارة فثالثة . فان كان الضيف موظفاً سأله عن عمله ودرجته ومرتبته ؛ وأظهر له التوجع على تأخره وتقدّم أقرانه ، وإن كان زارعا أقبل عليه فسأله عن القطن وما عسى أن يكون قد اعتراه من الآفات ، والمناوبات وشحّ المياه ؛ ومناطق الأرز وإطفاء الشراقي وسعر كيلة البرسيم اليوم ! ... وإذا حضر وقت الغداء — وهنا الكلام — وهمّ الضيفُ بالانصراف أمسك بطرف ثوبه وعزم عليه ليتغديق معه . وحلف جاهداً أنه لا يجد فى ذلك كُلفة ولا يتجشّم فى سبيله مشقة . وأنا بعد ذلك ضامن لدولة الباشا أن الضيف منصرفٌ غير لايث ؛ معتلاً بالمرض وضعف البنية ، أو بالضيف ينتظره فى داره ، أو غير ذلك من وجوه التعايل ؛ ولا يحتمل الباشا من هذه « الكركبة » كلّها الا حسنَ الذكر وسيرورة الأخبار ، بما له من رائع الآثار ، فاذا ذكرت الشجاعة قالوا إنه عتبر عيس ، واذا ذُكر الحلم حلفوا أنه الأحنف بن قيس . واذا عرض حديث المسكارم ، أقسموا أنه أجود من حاتم ، فاذا كان الكلام فى الفصحاء والمقاول ، زعموا أنه أخطب من تخبان وائل .

فأما اذا ظلّ ساجداً فى السماء ، فما أقولُ حظّ أهل الغبراء ، من عدلى باشا فى الزعماء .



ودَعَاكَ حُسْدَكَ الرَّيِّسَ وَأَمْسَكُوا * ودَعَاكَ خَالُقَكَ الرَّيِّسَ الْأَكْبَرَ
خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعْيُونِ كَلَامَهُ * كَالْحِطِّ يَمْلَأُ مَسْمَعِي مِنْ أَبْصَرَ

سعد زغلول باشا

رزقه الله بسطة في الجسم وإجاء فهو ملء العيون ملء الصدر . بلغ
 في دنياه ما دون التَّجِية ، وأدرك ما وراء الأمنية . إذا غشى مجلسا وفيه
 قوم جلوس رأى القوم أنفسهم وقوفا ولم يريدوا ، وتحووا عن الصدر ولم
 يقصصوا ، وخاطبوه بالرياسة ولم يتعمدوا ، ورأى سعد نفسه رئيسا ولم
 يتطَّلع . فما جلس سعد مجلسا فأقيم عنه لغيره . وكذلك كان يقول الأحنف
 عن نفسه . فسعد طالب العلم الحامل الذي لا يعرفه غير شُجْرَائِهِ . وسعد
 الزعيم النابه الذي تعرفه الأعاضم والعظام سوءاً .

إذا وقف سعد يخطب الناس وثبت الألفاظ من مكانها وأسفرت
 المعاني عن وجوها وتغايرت في السبق الى ذهنه ولسانه ، فلو أن كاتباً
 كتب ما يرتجله ذلك الخطيب لوقعت منه على أسلوب سريّ رائع ينقطع
 دونه تنميق الأقلام . فإذا جلس سعد الى الإنشاء وقعت منه على أسلوب
 لا يُغَبِّط عليه كاتبه ؛ فلو أن حالفاً حلف أن سعدا الخطيب هو غير سعد
 الكاتب لبرّت يمينه .

يطلع سعد على الناس وهم يرتقبون طلعتة ارتقاب المُدْجِ الحائر طلوع
 القمر ، فيدانهم وهو يكاد يتهتم ضعفاً ، على وجهه تجاعيد من أثر السنين ،

فلا يكادون يتلقَّونه بالتهليل والتصفيق حتى ترى ذلك الشيخ وقد طوى ماضيَه القهقري فالتقى بشبابه وكأنما وثب من الشيخوخة الى الصبا ؛ واذا بتلك التجاعيد وقد أَمَحَّتْ وتلك الأسارير وقد أشرقَتْ ، فيخطبهم ما يشاء حتى اذا أفاق من سكرة ضعفه وأسكر سامعيه بنجر فصاحته انكفاً بين التصفيق والهُتَاف الى داره ففضى فيها ساعة أو ساعتين من سَاج الشباب ثم عاوده الضعف شيئاً فشيئاً حتى يدخل في شيخوخته كما كان . ومن لم يعرف ذلك الرجل العظيم الذى علت سِنُّه وتكامل تمييزه ولم يلبسه فى أطوار حياته لا يشك فى أنه انما كان يتمارض (أو يتصنع المرض كما يقولون) .

ارتاح سعد لمهنة المحاماة لأجل الخطابة ، وارتاح للزعامة لأجل الخطابة ، وهو يرتاح لكل ما فيه منفذ للخطابة . ولا غرو فقد من الله عليه بموهبة عظيمة لا يمن بها على كثير من عباده فهى لا تنفأ لتطاع للظهور فأتى أصاب منقذاً أطلت منه . فلو أنك عرضت على سعد ملك الرشيد على أن يهجر الخطابة لنأى عنه بجانبه ولرجع مهرولا الى الزعامة فان أفلتته فالى المحاماة .

نقل الى بعض خاصته الذين يحبون بابه أنه استأذن يوما لوفد من الوفود وكان سعد فى ذلك اليوم لقيس النفس متبرما بالناس لكثرة ما لاقى منهم فقال له اعتذر ، فقال لمنهم يُلحِّون ؛ قال فأذن لهم على أن يسلموا وقوفا وينصرفوا ، فأدى اليهم الرسالة ودخلوا ، وأقسم لى الحاجب أنهم لبثوا فى حضرته ساعة وبعض ساعة وهو لا ينقطع عن الخطابة .

(١) لقيت نفسه من الشيء : غثت وتضايقت .

كنت بحضرته يوما وقد مثّل أَمَامَهُ وفد من الوفود فمَدَّ بصره اليهم وقال: من خطيبكم؟ فلما لم يُصَبِّ فيهم خطيبا كاد يُعرض عنهم لولا حاجته الى مناصرتهم .

لذلك تقَرَّبَت اليه الوفود بالخطباء، وشاع في نفوس النشء حب الخطابة تشبها بسعد، فكثرت الخطباء وفي كثيرتهم مظهر من مظاهر النهضة الوطنية المباركة . فسعد مدرسة لا تقفل أبوابها يؤمها الطلاب من أنحاء القطر .

إنه يتشدد في الحق ولا يترخص فيما يعتقد أنه حق . ذلك كان شأنه قبل الزعامة ، فلما ملك يومه وأصبح الزعيم الأَكْبَر أبت عليه طبيعة السياسة أن يأخذ دائما بذلك التشدد ، فهو اذا وقفت به الحزبية بين الصواب وبين هوى العامة لا يلبث أن يعدل الى الثانية تمكينا لسلطانه عليهم . يفعل ذلك وهو يُعَدِّها في نفسه على نفسه قبل أن يُعَدِّها خصومه عليه .

نزل سعد الى ميدان السياسة وهو يظن أنها كالقضاء سبيلها الحق والعدل ، فلها خاض عُثْمَارَهَا ورأى ما راعه فيها من أساليب المداخلة وأفانين الخداع همَّ بالنكوص لولا أن إيماننا رشح في قلبه ويقينا ملائحة أنهاء نفسه أن صاحب الحق هو صاحب الغلب حملاه على الثبات فتدترع بهما ووطن نفسه على الكفاح . وقصَّاراه أن يشهد بعينه دستور مصر وقد سلم لمصر ، وأن يرى وطنه مستقلا تحت ظل الله ، فهو يعمل لهذا المقصد الأسمى ، ولشَّدَّ ما يتكئ في هذا العمل على نفسه ، وما كان ذلك لضعف في ثقته بمن حوله ولكنه رجل قد بُنِيَ على الجِدِّ والعمل .

أبت الناس الا أن سعدا ضيقُ الصدر . وكيف لا يضيق صدره وإن كان رحيبا وهو مدفوع بحكم الزعامة أن يقابل كل من يصبه عليه أفق السياسة من الزائرين والقاصدين وفيهم ثقل الظل جامد النسيم ، والمُليح الذي يكاد يستل بالخاصة خيط النخاع ، والمترج زيارته ، وذلك الذى تخرج من حديثه ركضا الى طبيب الآذان ، وذلك الذى يقتلع الكلام من فمه اقتلاعا حتى لكأن نفسك تطلع منه على حشرة لا على استماع حديث .

دع الجاهل المتصدر والأعمى الذى يدعى فهم ما غاب عن بسمرك من السياسة ، وما خفى على نابليون فى تعبئة الجيوش من الكياسة . وإن جلسة واحدة الى الشيخ (فا ...) لتبغض الحلم الى الأحنف ، ولتزهّد الزعيم فى كرسى الزعامة . ولو أن أعداءنا فطنوا لذلك لرموا سعدا فى كل يوم بمثل هذا البغيض حتى يفتر من الميدان ، ونحسر بفراره قضية الأوطان .

دخل عليه ذات يوم فى داره بمسجد وصيف شاب من المفتونين فسلم عليه سلام الأكفاء وجلس معه على بساط المساواة ولم يحتشم ذلك المفتون فى جلسته ، فقد جعل يصفر بفمه ويلعب الجوّ بسلسلة ذهبية كانت فى يده ، ولم قضى شهوره من العبث بحضرة ذلك الشيخ الجليل الفت اليه وقال : يقولون إنك خشن الملمس قريب الغضب ولا أرى فيك الا حايما ، فأجابه سعد وعلى فيه ابتسامة الكاظم لغيظه : وكأنك ما جشمت نفسك السفر وجئت لى الا لتستثير غضبي ، قم فليست هناك .

وزاره في بدء الحركة الوطنية أحد المتطرفين، فتجادل في أمر من الأمور
وحسب الحدال ، فأغلظ المتطرف القول ، فقال له سعد : أتجبهني بمثل هذا
وأنت في بيتي ! قال : لم أكن في بيتك ! قال : ففي بيت من أذا ؟ قال :
في بيت الأمة . فسرى عن سعد وقال له : صدقت ! إنه بيت الأمة ! ومن
ذلك الحين أصبح بيت سعد بيت الأمة .

وإن صدرا يتسع لما يضيق عن بعضه صدر الدهر خليق أن
يُسَمَّى حامله حايما .

وهو كثير الذهاب بنفسه ، ولم يحثه ذلك من ناحية الزهو كما يزعمون ؛
ولكن جاءه من ناحية التمكن من النفس .

جلس إليه أحد أقرانه وكانت بينهما وحشة لشيء قد بلغه عنه ، فقال له
سعد وهو يحاوره : اعلم يا هذا أنني معجب بنفسى وكيف لا أعجب بنفسى
وأنا لا أرى من يعمل غيرى .

يسره أن يؤكل طعامه وأن تُغشى داره ، ولكن قلما يسره أن يخالف
رأيه ، اللهم الا اذا لمح بعين بصيرته أن من وراء تلك المخالفة إجماعا .

يجلس سعد الى مناظره وفي يد مناظره الحجة قائمة ، فلا يزال به يستلها
من يده شعرة شعرة حتى تصير الحجة في يد سعد فيقيمها على مناظره .

يسوءه النقد الا اذا كان نزيها ، وأنى لهذا البلد بالنقد النزيه !
إن سعدا يكلف الناقد شططا ، أنسى أن نصيبه من ذلك نصيب كل

نابعة مشهور ، وكل عظيم مذکور . وقد جاء في الأمثال اذا قيل عنك إنك
نابعة فودّع الراحة .

نشأ سعد وفي ثوبه عظيم ، كان في المحاماة رأس المحامين ، وكان
في القضاء رأس القضاة ، وكان في الوزارة رأس الوزراء ، ولم يكن في كل
أولئك بالرئيس الرسمي اللهم الا في وزارته الأخيرة .

فسعد عظيم وهو ابن عشرين ، وفوق العظم وهو ابن سبعين . وقد قال
أديب من صفوة أدباء مصر : عظماء الرجال أمثال الجبال ، لا تنقص
التيهوف ما لها من العظمة والجلال .

حافظ ابراهيم



أبو الهول :

لِي فِي صَمِيرِ الدَّهْرِ سُرُكَايْنِ * لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَلَّهُ الْأَقْدَارُ

عبد الخالق ثروت باشا

لطيف الحجم ، دقيق الجسم ؛ لولا بدونة دخلت عليه في السنين الأخيرة ؛
طلق الوجه ، عذب الروح ، فكّه الحديث . ولو أنه قدر لك أن تصحبه
عشرين عاما دون أن يُقيّض لك أسمه ما عرفت قط أنك في صحبة هذا الذي
لا يبلغه العجب .

ويترك في الدنيا دويّا كأنما * تداول سمع المرء أمّله العشر
فلقد تحضر مجلسه فيقبل عليك يحدثك فلا يرتفع بك الى نفسه وإنما
يتدلّى بكل حديثه الى نفسك ، فتراه يدّرجك في قولك ، ويكلمك من جنس
كلامك ، ويباريك على قدر فهمك حتى تنصرف عنه وقد هيا لك وهمك
أنه مثلك ؛ هذا اذا لطف الله بعقلك فلم يهبي لك أنه دونك !

وإنه إذ يتحدث اليك لتختلج معارف وجهه حتى ليتمثل لك في شخص
تلميذ في السنة الرابعة الابتدائية ! وإن حدقته لتضطربان في حركة أفقية ؛
على أنك لو تظننت لأدركت أنها ليست حركة الحائر المتردد ، بل إنها لحركة
المتعرّف المتقرّي الذي يريد أن يستلّ منك ذات نفسك . وإنه ليحسها من
جميع أقطارها ليألوها أيّا أهون عليه .

ولقد يخيّل اليك لطف ثروت وتبسّطه في حديثه معك أنك مستطيع أن
تدسه في جيبيك إذ هو قد دسك من أوّل المجلس تحت نابيه ! فاحذره أطلق
ما يكون وجهها وأنعم حديثا .

لعل ثروت باشا أبعد المصريين نفسا وأعظمهم ضميرا ، وقد حدثني من طالت به يحببه أنه من شباب سنه قد جعل يمتن نفسه على إخفاء نيته ويأخذ معارف وجهه بالا تم على ما في قرارة نفسه ، وانك لتحدثه في الجلي ويحدثك فيها وهو متطلق الوجه ضاحك السن حتى ليكاد يملأ عليك المجاس أنسا ومراحا ، والله وحده يشهد ما في جوف هذا الهيكل من نواثر تهت أعصى الرجال ، وتلك أشمخ الأجدال ، حتى لقد دعاه بعض أصدقائه ، وهو ما برح في مطلع مناصبه ، « بطرس المسامين » !

ولقد بالغوا في صمت أبي الهول وقادروا أن من خلف هذا الوجوم الطويل سرا طويلا . أما ثروت فانه أحذر من أبي الهول وأحرص على دخيلة نفسه ، فان وجهه الضاحك منك لا لك ليقتنعك بأن هذا الخلق لا يحقن من السر كثيرا ولا قليلا .

ولو أن إنسانا حدثك بأن لسان ثروت لم يسقط من ثلاثين سنة بكلمة واحدة لا يريد هو أن يطلقها بكل معناها وما تنصرف اليه من وجوه المغازي لما كان في قوله متريدا ولا غاليا .

ولقد تعوزه موهبة الخطابة والتفجر بالقول ، على أنه اذا أرتجلت عليه طارئة خطاب الجهرة أرسل الكلام ، في أدق المواقف وأخرجها ، بليغ سلسا نيرا يروعك برشاقتة في التحرف عن كل ما لا يؤذن به للسياسي وإن فسح فيه للخطيب .

وهو بعدُ رجل حَسَن المَلَقِ كريم المَقال وافر الأدب .
 جُمُّ التواضع والدنيا بسُودده * تكاد تهتزُّ من أطرافِها صَلَفًا
 وإنه لَيُقبِل عليك بكل ما عنده من الرقة وإظهار المودَّة وشِدَّة المواتاة
 حتَّى لتجدنه قد أصبح قطعة من قلبك ؛ ولتحسبن أنك أصبحت أيضا قطعة
 من قلبه ، ولعلك لست منه في شيء أبدا !

وسبحان من قَسَم الحظوظ ! فلو أن لي أمنية في خلق الله لتمنَّيت عليه
 تعالى أن يَنْجِ عدلى بثروت ، على نحو ما تمتزج بعض النقابات والبنوك ،
 حتَّى إذا اتحدا وتمت « نخبطهما » أحدهما بصاحبه شق هذه العجينة
 الى شخصين ، وسوَّى منها رجلين ، إذاً نخرجا أحسن الرجال ، ولتحقق كل
 ما عُقِد بهما من الآمال ؛ اللهم آمين ! ...



وقد بدت مخايل النجابة على عبد الخالق ثروت طفلا حتَّى إذا أَسْتوى
 لِسَنِّ التعلیم سَلِك في المدرسة التوفيقية فكان يملك (الأولية) غالبا على سائر
 لِدَائِهِ التلاميذ ، وأحرز « البكالوريا » في سنة ١٨٨٨ ، وخرج في أوائل من
 أحرزوها لِعَامِهِ . وقد حدَّثني من رآه تلميذا في مدرسة الحقوق يزور مع
 والده المرحوم اسماعيل باشا عبد الخالق عالما من أجَل علماء عصره ، فإذا هذا
 الفتي يجادل في أمور من أمور الدين بمجادلة الأكفاء ، ويحاوره في تعاليل
 أحكامه محاوراة النظراء ، حتَّى انبعث لسان الشيخ العظيم بتسبيح من خلق
 هذا الغلام !

وبعد إذ تخرج في مدرسة الحقوق نابغة رائعا اتصل بلجنة المراقبة القضائية وعُين سكرتيرا للمستشار القضائي فكان كل التشريع المصري قرابة ثلاثين سنة من وضع عبد الخالق أو باشتراكه ؛ فليس عجيبا أن يُدعى عبد الخالق ثروت في هذا البلد أبا القانون .

وكان مستشارا في الاستئناف ، وكان مديرا لأسيوط ، وكان نائبا عموميا ، ثم كان وزيرا للحقانية في وزارة رشدي من صدر سنة ١٩١٤ الى صدر سنة ١٩١٩ ثم استقال مع صحبه الذين استقالوا مشايعة للثورة وحفاظا للمهضة الوطن . فكان في كل المناصب التي وليها لا يعمل إلا بالقانون ولا يؤثر إلا حكم القانون مهما اختلفت عليه ألوان الاعتبارات ؛ فقد اتصل القانون بعصبة وجرى في نفسه مجرى دمه ؛ ولعل ما أخذ به ثروت باشا بعد إذ اضطلع بأثقل عبء سياسي من تردده في بعض مواطن الإقدام ، إنما كان الوزر فيه كله على حرصه على القانون وتحزيه ألا يتحرف عنه في كل مذهبه ، فان للسياسة أحيانا سبيلا غير سبيل القانون . وعلى كل حال فاذا عدت السياسة هذا على ثروت فسيعدّها له النبل ومعالي الخلال .

وكان ثروت وزيرا للداخلية في وزارة عدلي باشا (سنة ١٩٢١) وقائما مقام رئيس الوزراء في أثناء غيابه في مفاوضة اللورد كزن ، فلما قطع عدلي باشا هذه المفاوضات عاد الى مصر فقدم استقالة الوزارة . واستوحش ما بين مصر وإنجلترا ؛ وسكت المنطق من حيث تكلم الحديد والنار ، وأنطلقت القوة تفعل في هذا البلد ما تشاء ، وفُتنت الأحلام في مصر وإنجلترا معا ؛

وَعَمِيَّتْ عَلَى النَّاسِ مَذَاهِبُ الرَّأْيِ هُنَا وَهَنَّاكَ . وَلَا بَدَّ مِنْ حُلٍّ ، فَلِكُلِّ سَائِلَةٍ
قَرَارٌ ، فَأَبَى دَاهِيَةُ الرِّجَالِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُلُّ عَلَى حِسَابِ الضَّعِيفِ

لَا أُدْرِي وَلَعَلَّ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ لَا يَدْرِي كَيْفَ كَانَ أَبُو الْهَوَلِ يَقْلِبُ
الرَّأْيَ ، وَمَا كَانَتْ تُجِنُّ خَلَجَاتُ وَجْهِهِ مِنْ فَنُونِ الْحِيلِ ، حَتَّى إِذَا آسَتْوَى لَهُ
الرَّأْيُ كُلُّهُ تَجَمَّعَ فَضْرِبُ تِلْكَ الضَّرْبَةِ الْهَائِلَةِ الَّتِي صَدَعَتْ قِيُودَ مِصْرَ وَأَطْلَقَتْهَا
فِي الدُّوَلِ دَوْلَةً مُسْتَقْلَةً ذَاتَ سِيَادَةٍ وَسُلْطَانٍ ، وَسُرْعَانِ مَا آذَنْتِ انْجَلَتْرا الدُّوَلِ
بِانْتِهَاءِ حِمَايَتِهَا عَلَى مِصْرَ ، وَسُرْعَانِ مَا آذَنَّا جَلَالَةُ الْمَلِكِ بِاسْتِقْلَالِ الْبِلَادِ .
وَشَرَعَ ثُرُوتُ بَاشَا يَسِّنُّ لِلدُّوَلَةِ دَسْتُورًا قَوِيًّا لِأَنَّ مِصْرَ الْفَتَاةَ تَأْنَفُ الْعِيشَ
إِلَّا فِي كَنْفِ بَرْلِيْن . وَهَذَا الْبَرْلِيْنُ يَعْمَلُ وَيَسْعَمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى تَحْيَا
مِصْرُ أَعْلَى الْحَيَاةِ .

عَلَى أَنَّهُ مَا بَرِحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ انْجَلَتْرا مَسَائِلُ جَلِيلَةٌ ، وَإِنْ رَجَالًا فِيهَا لِيَتَرَبَّصُونَ
الْفُرْصَ لِيَتَحَيَّفُوا مِنْ حَقُوقِنَا ، فَمَا أَحْوَجَنَا فِي أَمْرِنَا مَعَهَا إِلَى عِزْمِ الْأَبْطَالِ .
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَيِّبَ رَجَاءَ مِصْرَ وَفِيهَا سَعْدٌ ، وَفِيهَا عُدْلٌ ، وَفِيهَا ثُرُوتٌ ، وَفِيهَا
مَنْ يُخَفُّ بِهِمْ مِنْ رَجَالَاتِ عِظَامٍ .

فَاتَحَى مِصْرَ وَلِتَبْلُغْ كُلَّ أَمَانِيهَا فِي ظِلِّ ائْتِلَافِهَا النَّبِيلِ .



ثورة في هيك كل رجل !

ابراهيم الهلباوى بك

ما صديق أولئك النَّفَر من العلماء حين زعموا أن هناك تشابها بين النفس والجسم ، وتشاكلا بين الروح والهيكل الذى يحتويه ، وإلا كان الهلباوى هذا من أحلى الناس وجها وأبهام طلعة فإنه ولا مِرْيَة من ألطف خَلْق الله نفسا وأخفهم رُوحا

شيخ يَتَرَّاحِف على السبعين إن لم يكن قد اقتحمها فعلا ، لم تُوجَّه الطبيعة أية عناية فى تكوينه الى شكله ودَّله ، فاذا أنت جلست اليه مع هذا خلبك بلطفه ، وشعرت بأنه تَسَرَّب فى كل نواحي قلبك حتى أصبح قطعة من نفسك . وإنه ليذكرك بخفة روحه التى تكاد تطير ، أثناء حديثه ، بأطراف جسمه — قول أبى تمام :

إذا تقولين فى شيخ فقى أبدا * وقد يكون شبابٌ غيرُ فَيَّانِ

وأنا اذا تحدت عن الهلباوى أشعر ويشعر الناس معى ، برغم أنفى وأنف غبرى ، أننا فى رجل غير عادى ، أو بعبارة أخرى فى رجل عبقرى .

ولعله لم يفتِّقِ الناس فى هوى امرئ — اذا استثنينا اسماعيل باشا صديق — افتراقهم فى الهلباوى ، فقد عاش مدى عمره يحبه ناس أشدَّ الحب ، ويُبغضه ناس أشدَّ البغض ، الا أن هؤلاء وهؤلاء لا يسعهم جميعا الا التسليم بأنه رجل عبقرى ، بل لعله لم يجتمع له فى القلوب كلُّ هذا الحب وكلُّ هذا البغض الا لأنه رجل عبقرى !

(١)
طويل القامة ، عظيم الهامة ، بائن الطول ، مفتول العضل ؛ شديد المنّة
قوى البنية . رأيته يُخَطِّبُ النَّاسَ عصر يوم قَدِمَ فى صباحه من أعلى الصَّعيد ،
والهلباوى اذا خطب خطب بُكْلَه : بلسانه ؛ وبعقله ، وبُخَّاعه ، وبعصبيه ،
وبرأسه ، وبيديه ، وبرجليه أيضا ! وله صباح يَقْدُ أَصْفَقَ الحناجر . ثم تَدَلَّى
عن المنبر بعد أربع ساعات كاملات فى كل هذا البلاء وهو أشدُّ وأقْبَى من
أكثر مَنْ سمعوه ان لم يكن أَقْبَى من سمعوه جميعا . وما شاء الله كان ! ...

شديد العقل ، حاضر البديهة ، قوى الذَّاكِرَة ، ملتهب الذكاء . على أنفى
لا أدرى أنفى كل هذه بحاجات لسانه أم لا ؟ ! ...

محام أىّ محام ، وخطيب أىّ خطيب ! لقد يقف فى الجَهْرَة والنَّاس
أكثرهم على غير رأيه فيما يحول فيه ، فما يزال يدور على مواطن إحساسهم
يُحَسِّسُهَا من ههنا ومن ههنا فى رشاقة وخفة قول ، ولطف شاهد ، وبراعة
نكتة ، حتى اذا آنس من الآذان تطامناً من حَاح واسترخاء بعد عصيان ،
هجم منها بُكْلَه على النفوس فظل يَهْزُها هزاً ، وَيُجْها رجا . فما الفحل اذا
هَدَرَ ، ولا اللَّيْث اذا زَارَ ، ولا البحر اذا زَحَرَ ، بأشدَّ صَوْلَة على الأسماع من
الهلباوى يتدفَّق فى الكلام ، فما يروعك من هذه الجماهير الواجبة الا أن تراها ،
برغمها ، قد أرسلت حناجرها بالهُتَاف وبعثت أَكْفَها بالتصفيق !

والهلباوى خطيباً يَشْتَرِي هَوَى سامعيه بأى ثمن : فهو يَجِدُّ ويهزل ؛
ويثب ويحجل ؛ ويضحك ويبكي ؛ ويعلو ويُسِفُّ ، ويثقل ويخف ؛

ويكثف ويشف . وينظم الدرر ، ثم يرمى بالشرر . وبينما تراه فى وداعة
العصفور ، اذا به فى شراسة الثور . كذلك يتشكل هذا الشيخ فى خطبه
ويتلون لكل مواقع الكلام !

واذا كان الهلباوى خطيبا عظيما فهو ممثل أعظم !



نجم الهلباوى من أسرة فى الغربية كريمة العرق الا أنها رقيقة الحال ، فلما
يفع قذفت به الى الأزهر فعكف على مدارسة علومه ، وقد عُرف بين
لذاته ، من صدر أيام الطالب ، بالفطنة وحدة الذهن والاكجاب على تحصيل
الدرس . وعلوم الأزهر ، كما تعرف ، تقوم على الجدل والمكاثرة بالوان التليل ،
وكان الهلباوى فوق « أزهريته » تيك عيدا فى رأيه ملحا حتى على أشياخه
فى حواريه ، جريئا على مخاصمتهم فى كثير مما تسقط عليه أفهامهم فى مذاهب
الكلام .

وهبط المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى مصر فاتصل به الهلباوى كما
اتصل به كثير من أهل المواهب والذكاء . وكان يعلمهم مسائل من الحكمة ،
ويلقنهم فصولا من فلسفة اليونان كما نقلها العرب عنهم . وقد مد السيد
الأفغانى أذهان طلبته الى كثير مما يحيط بهم ، ففجر عقولهم ، وجرأ قلوبهم ،
ودرب أليستهم على المنطق والمغالبة بفنون الجدال ، وعودهم الجهر بالرأى
دون الخوف من أحد . وفى ثنايا هذا كله كان يبعث فى نفوسهم دعوة سياسية
جريئة .

ونخرج الهلباوى بعد هذا الى ميدان العمل فاتصل اتصالاً أوفى بالبيئات
التي تفهمّت حياة الغرب وتروّت علومه الحديثة وأخذت أحلامها بمنطقه
الطريف . وهكذا أصبح الهلباوى خليطاً من كل ما تقلّب فيه من أطوار الحياة !
وما اجتمعت هذه الأسباب كلها في نفس الا اضطربت وثارّت فلا
تعود تستريح الى قرار . فلا عجب اذا كان الهلباوى ثورةً دائمةً في هيكل
رجل ؛ والبركان دائم القوران ، فهو ينفجر من حين الى حين وإن احتقن
الى حين .

ولقد يكون ما يظنه كثير من الناس تردداً في الهلباوى أثراً من آثار هذه
الثورة النفسية ، فان الثورة لا تعرف نظاماً ولا تستوى في شوبها لطريق .
ولعل موقفه يوم دنشواى كان مظهراً من مظاهر هذه الثورة ، على أنها
هذه المرة كانت أدنى الى تحدّي الجمهور منها الى ما اعتاد من تحدّي السُّلطان
من أهل الحكم ؛ وفي كل حال فقد كانت منه كبيرة ، ولعلها كانت سقطة
الرجل العظيم .

على أن أحداً لم يجرؤ على أن يُحيل تردّد الهلباوى ، الذى قالوا ، على طلب
منفعة شخصية من منصب أو جاه أو مال .



وقد صحّب القضاء المصرى الحديث ودأرجه من أول نشأته الى اليوم ،
فلم تكن تقع قضية ذات شأن في البلاد إلا دُعِيَ لها الهلباوى فافتن وأبدع ؛
وله في هذا الباب جولات معدودة له على وجه الزمان . فلا عجب اذا عدّ
صحيفةً من أحفل تُخفّ القضاء المصرى وأظهرها حواشي ومتونا .

وقضى هذا الزمن الطويل محاميا واضحا أميناً مُجِدّاً في عمله حريصاً على أداء واجبه، لم تُخصَّ عليه كَرَّةٌ واحدة مما يَمُحِّش وجه المحاماة .

ثم هو في علاقاته الشخصية شديد التّوَّافى لأصدقائه حريص على مودّتهم لا يقصر في أداء أىّ واجب لأىّ كان منهم . ولا أحسب الهلباوى قد عادى أحداً أو عاداه من الناس أحد إلا في شأن عام .

وإني كلما جاش في نفسى الحقد على الهلباوى بك هرولت الى مجلس النواب فشفيت صدرى برؤيته ، بعد كل ذلك ! ، وقد امتثل حقاً لحكم النظام، فهو يرفع إصبعه بطلب الإذن كلما أراد القعود أو القيام، وكلما أراد السكوت أو الكلام، وكلما طلع أو نزل، وكلما عطس أو سعل، وكلما تحرّف أو تخطّى، وكلما تشاءب أو تمطّى، وكلما دَلَّكَ أكارعَه ، أو قَتَلَ أصابعَه . ولا بد من الخضوع والطاعة ، لكل من ينتظم في سلك الجماعة ؛ وإلاّ ساء النظام، واضطرب حبل الأحكام !

وكذلك أنعمت الحياة النيابية، هذه الثورة الشيخة الفتية .

وإني اذا لم أصفه في موقفه الحديد بأنه أصبح « كالوحش يستدنيه للقبض المحل » ، فإني أقول له : « ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل » !!



ليس على الله بمستكبر * أن يجمع العالم في واحد

الدكتور محبوب ثابت

لا شك في أن الدكتور محبوب ثابت يعدّ، بحق، في ميراثنا القومى، ولو — لا إذن الله — جرى عليه القدر لكان لا بد للأمة من (دكتور محبوب ثابت) بأى طريقة من الطرق . نعم هو في ميراثنا القومى لا يقلُّ عن آثار سقّارة، وجامع السلطان حسن، ومقابر الخلفاء . ولقد أصبح على الزمان جزءاً من تقاليدنا الأهلية كحفلة المحمل، ووفاء النيل، وركبة الرؤية، وشم النسيم ! . ولما فكّر المرحوم محمود بك رشاد في جعل العَلَم المصرى محلياً بصور بعض الآثار القديمة فرعونية وإسلامية لم ير المصور بداً من أن يرسم بجانب الهرم وأبى الهول وجامع برقوق وحضرة سيدى أبى السعود صورة الدكتور محبوب ثابت .

والدكتور في المصريين كأنجلترا في الأمم، كل منهما يرى عليه للآخرين تبعات لا تنقضى على وجه الأيام ! فإذا كان الكلام في النيل وما عسى أن يجتازه عن مصر خزان مكوار تولّى « الدكتور » الكلام وملّكه على جمهرة المهندسين ! وإذا كانت الثورة تصدّر الدكتور لجنة الوفد المركزية، وكلما أنتشرت في البلد مظاهره كان ناظور^(١)تها الدكتور، وكلما ساروا « بضحية حريّة » كان الدكتور أول المشييعين، فإذا كان اجتماع في الأزهر كان الدكتور فارسه المعلم وعُدّيقه المرجّب . فإذا تعانق الهلال والصليب، استأثر

(١) الناظورة : سيد القوم المنظور اليه منهم .

«الدكتور من عناق لأب سرجيوس بأكبر نصيب . فإذا وجدَ دَهْمًا
المصريين على الأرمن وهم بعضهم بإيقاع الأذى بهم طاف الدكتور بعربته
(ومكسويته) على دورهم فنقلهم وعيائهم ومناعمهم وأثاث بيوتهم إلى مأمئهم .
فإذا غضب الأروام من أن بعض الرعايا أصابوا منهم على وهم أنهم أرمن ،
شخص الدكتور في الركب الحافل إلى دار قنصلهم فخطب جمعهم باسم مصر
ومادهم حبال المودة ، وعقد معهم ، باسم الأمة والحكومة أيضا ، فثبّت
المعاهدات . وإذا كان جمع الأموال للوفد أغلق الدكتور عيادته « بالضبة »
وهاجر إلى قنا فلبث الأشهر الطوال ، يجمع ما تحتاج إليه القضية من جليل
الأموال . فإذا كانت مشاكل العمال أبي الدكتور إلا أن يتفرد بها من دون
الناس جميعا ، فانتفض نقيباً لعمال العنابر ، ولغافى السجاير ، وسواى الأتومبيلات ،
وشياى المحطات ، ونُدُلُ الفنادق والقهوات ، وجميع طائفة المعار ، وأصحاب
الحوانيت من كل بدال وبقال وجزار . وعمال المطابع ، وكنايس الشوارع ،
وصُنّاع الخيم ، ومساحى (الجزم) ؛ ولو فكرت طوائف الجُرْدان والسنانير ،
وجماعات الإعلان والصراصير ، فى أن تُخذ لها تقابلات لتمثّل الدكتور ثبت
فيها خطيبا ، ثم استوى لها بفضل الله نقيبا !

وفى الحق أن الدكتور يرى نفسه مسئولاً عن كل ما فى البلد من هابط
وصاعد ، وقائم وقاعد ؛ وغاد ورائع ، وسائح وبارح ؛ ودارج على متن القُرباء ،
وسائح فى جوف الماء ، وطائر فى جزو السماء . فإذا كانت هنالك منطقة
خارجة عن اختصاص الدكتور محبوب فهى عيادته فقط ! ذلك بأنه ليس

رجل أثره، بل هو رجل إيثاري يُعنى من أمر قومه بكل دقيق وجايل، أما خاصة شأنه فلا يعنيه منها كثير ولا قليل .

ولا أحسب رجلا في مصر ولا في إنجلترا مشغولا بالسودان سُغل الدكتور ثابت^(١)، فحديث السودان يجري منه بجري النفس، ولو هُيَّ له، أو لو هُيَّ لك أنت، على الأصح، أن تستمع له لحديثك في شأن السودان ثلاثين عاما متصلة لا ينقطع ولا يتحبس، ولا يتأجلج ولا يتلعثم، ولا يمل ولا يكل، ولا يبطئ ولا يزَل .

وللدكتور في مشكلة السودان نظرية طريفة جدا، فانه يرى أن كل العقدة فيها إنما هي في إقناع المصريين وحدهم بقبوله وإدخاله بلا قيد ولا شرط في ملكهم الخالص، فهو كلما رأى رجلا أو امرأة أو صبيا أو وليدا أقبل عليه « يقنعه » في قوة وحماسة بقبول السودان، وتدفع ما شاء الله أن يتدفق بألوان الحجج لحق مصر في السودان وحاجة مصر الى السودان، وما أنفقت مصر على فتوح السودان، ومن أبلى من أبناء مصر في حروب السودان . ولو أن رجلا مسح السودان شبرا شبرا، وذرعه قترا قترا، ما كان أعلم به من الدكتور ثابت، على أنه لم يره ولم يزره طول حياته مرة واحدة . وقال له بعضهم يوما : لقد جعلت السودان سُغلك يادكتور حتى أصبحت رمزَه في هذه البلاد، فهلاً زرتَه وتفقّدت أهله؟ فقتل عُشونَه وقال : لا حاجة بنا الى هذا فقد عرفناه وخبرناه ... ولا أدري أكان هذا من الدكتور ورعا أم كسلا !

(١) وكان هذا قبل أن ينتخب عضوا في مجلس النواب .

ويظهر أن الدكتور ظن بعد لآي أن المصريين غير مُقتنعين بضرورة «أخذ» السودان فشخص إلى سوريا ليقنع أهلها بضرورة «أخذ» المصريين للسودان! فقد بلغني أن ذلك كان حديث الدكتور هناك في مسائه وصباحه، وغدوه ورواحه، وموضوع مفاكهاته وأسماره، في مقامه وتسياره.

ورأى الدكتور في «أخذ» السودان أبدع من رأي ذلك الفلاح المكارى إذ قال لآخوانه يوما: كيف لا تهشونني؟ فقالوا: بماذا؟ فقال: بأني سأزوج بنت السلطان! فقالوا له: وهل قضى الأمر؟ قال: بل نصفه؛ فأنى وأبى قد رضينا ولم يبق الا هي وأبوها! ... أما الدكتور - أعزّه الله - فانه لا يرى بين المصريين وبين أخذ السودان كاملا بلا قيد ولا شرط، ومن فوقه ملحقاته وملحقاته لا أن يرضوا هم! ... وقد قلت له يوما: ألا جعلت بعض همك إقناع الانجليز أيضا بترك السودان لأصحابه المصريين؟ فاجابني بكل قوة وثقة: لا! ما يقولوش حاجة!!!

حقاً إن هذا الرجل أمةٌ وحده، وانه لعبقري لا يتدلى الى منطق الناس وأسباب تصورهم، فإن له قياسه وتقديره، وله منطقته وتفكيره؛ وله أسلوبه وتديره. وأظهر صفاته في هذا الباب أنه لا يحفل بما يسمونه الواقع كثيراً ولا قليلاً، فحسبه أن يشتمى الأمر فيقدره واقعا، أمكن ذلك الأمر أو استحال، ومثله من تخيل ثم خال. ولقد كان في سنة ١٩٢١ يسعى جاهدا في أن ينتظم عضوا في الوفد المصري، وقد وسوس له شيطان من الإنس بأن عدلى باشا

فكّر في تعيينه مستشارا في الوفد الرسمي لولا أن انتهى إليه أن سعد باشا سيلحقه بالوفد المصري ، فكان جوابه على الفور : مافيش مانع ياسيدى ! وهكذا طمّح الدكتور في أن يكون عضوا ، معا ، في الوفدين المتقاتلين

سنة ١٩٢١

وأذن الله ودخل الدكتور في الوفد المصري طبعة الثالثة أو رابعة ، بعد ماصّفت القوة بحيلة رجاله سنة ١٩٢٢ ؛ ثم بدا له ، لأمر ما ، أن « يشالحه » فكانت تخرج النداءات والمنشورات موهورة بتوقعات رجال الوفد وليس اسم الدكتور فيها إذ الدكتور مصمم على أنه ما برح عضوا في الوفد يلتمس « لعضويته » المعاذير بأنه ربما دُعِيَ للتوقيع فغاب ، أو أرسل إليه فلم يبلغه الكتاب ، على حدّ قول الشاعر :

نحن قوم اذا دُعينا أجبنّا * واذا نُئس يدعنا التبط ...
ونقل علّنا دُعينا فغبنّا * وأتانا فلم يحذنّا الرسول !

وظل الدكتور برغم طول المدى وذُيوع الأخبار « بشالحه » مصمما على أنه مازل عضوا في الوفد . وقد جادله بحضري في ذلك قوم فكانت كل حجته أن محمد افندى كذا قابله يوما خفيه وقال له : « يعنى ما حدش بيدشوفك يا دكتور ؟ ! » ومحمد افندى هذا يزور السيد حسين القصبي أحيانا ، فلا بد أن يكون سميع هذا من الوفد ، فكيف تزعمون بعدها اننى لم أبق عضوا في الوفد ؟

هذا كلام له نخبي * معناه ليست لنا عقول !

ومن أظرف نوادره أنه في غيبة الرئيس الجليل حدثت بينه وبين بعض رجال الوفد جَفْوَةٌ، فانقطع عن زيارة بيت الأمة، فقيّل له : إن السيدة أنيسة الرشيدى نازلة بدارك وهى تستقلّ كل يوم مركبتك الى بيت الأمة ، والناس كلهم يعرفون « مكسوينى » وإلهم ليرونه هناك فلا يشكّون في أنك الزائر ! فقال : لقد نهينا على الأوسطى « على » اذا نزلت السيدة أن يقف على الرصيف الثانى احتجاجا !

وكانوا يرشحون لمناصب المفوضين والقناصل لتمثيل مصر في البلاد الأجنبية، فتقدّم الدكتور؛ فقيّل له : ولكك حَذَقْتَ الطب ، أما التمثيل السياسى فشىء آخر، فقال: ومن أخبر به منا يا ولدى ! لقد عجنّاه وخبزناه فقد كُنا في (جنيف) وكان يجلس معنا أحيانا على بعض قهواتها سكرير قنصل إنجلترا وتناول الشاى معنا مرارا ! ...



والدكتور محبوب ثابت عريض الألواح بعيد مدّى العظام لولا أن في جسمه رُهولةٌ ؛ أميل الى الطول، فاذا مشى خلّته أحذب وما به حذبة ، ولكنه انحناء الظهر من ثقل التبعات لامن ثقل السنين، عريض الجبهة الا أن أسفل وجهه أعرض من أعلاه . يُرْسِل سَبَلَتَه وعُثُونَه وشعر عارِضِيَه في هيئة لطيفة مقبولة ؛ وله عينان رقيةتان ترتسم في بياض كل منهما دائرة تحيط بدائرة حتى تنتهى الى انسانها ، وهما دائماً الحركة والاختلاج . وهو بعد طيب القلب، مكفوف الأذى ، عذب الروح ، حلو الحديث ،

ضحك السن، يتحرى في قوله غريب اللغة، ويلتمس الشاهد من مأثور شعر العرب، وقد يحىء به أحيانا مكسورا غير مُتَرَن . أما قافاته فحدّث عنها ولا حرج . جرّأت بداره مرة فرأيت بنتين صغيرتين تتلاعبان، فقالت احداهما للآخرى : هذا بيت الدكتور، فسألها : ومن الدكتور؟ فقالت لها : ألا تعرفين الدكتور الذى يقول يا بنت هاتى القبرة ! (الإبرة) .

وفيه ذكاء حادّ؛ يديم القراءة والنظر فى الكتب وكأنّه يحفظ بظهر الغيب كلّ ما يقرأ، تعرف هذا من علمه الواسع الذى يكاد يستغرق كل ما فى الدنيا وكل أسبابها، الا أن علمه، مع الأسف، يختلط ببعضه ببعض حتى ليخيل اليك أن رأسه « كتيبخانة مدشوتة » . ولو قد ملكت أمره، وكانت لى بسطة فى المال والسلطان لدعوت بمستشرق ألمانى ففى لينظم هذه المكتبة العظيمة فيضم كل شكل الى شكله، ويجمع كل جنس الى جنسه، ويرد كل معنى الى بابه، ويصف كل فن فى « دولابه » .

ومن أخص صفات الدكتور ثابت أنه لا يكاد يشعر بمرور الزمن، وإذا كان من آية يوشع أن الشمس رجعت له مرة، فإن من آية دكتورنا عند نفسه أن الشمس تثبت له موضعها على طول الزمان، فأنت اذا دعوته ليتناول الغداء معك أقبل عليك الساعة بعد الظهر حتما فى غير وَرَع ولا اعتذار . ولقد دعاه صديق لى وله لتناول الافطار فى رمضان ولبثنا ننتظره برهة فلما أيسنا منه أفطرنّا، وفى نحو الساعة الحادية عشرة أقبل الدكتور مشمرا للفطور؛ وما كان أشد دهشته « يقينا » اذ علم اننا أفطرنّا من أربع ساعات فانطلق يزجر و « يزوم »، ويعتب ويلوم !

ومما يذكر للدكتور في هذا الباب أنه ما أدرك قط القطار الذي يعتزم السفر فيه ، حتى تقرر عند جميع أصدقائه أنه اذا آذنهم بالسفر الى بورسعيد في قطار الساعة ٧ صباحا شخصوا إلى المحطة لتوديعه في قطار الساعة ١١ ، واذا آذنهم بالسفر إلى الاسكندرية في قطار المفتخر كانوا في وداعه بقطار الساعة ٧ مساء .

وسافر مرة إلى الاسكندرية لوداع الأنسة سنتيا موير الصحفية الأمريكية وأخذ تذكرة للذهاب والإياب على أن يعود من يومه فلبث هنالك قرابة شهرين ونصف شهر .

ولو قد ذهبنا نعدّد لطائف الدكتور محجوب وبدائعه ، لما اتسع للحديث مثل هذا المقال . وإنه ليجمع بنا في موضع الإنصاف أن تقرر أن الرجل شريف النفس ، عفيف الحيب ، جمع للنهضة المصرية من مديرتي جرجا وقنا قرابة خمسة عشر ألف جنيه أبلغها كلها مجلّها لم يقطع منها درهما واحدا حتى ولا لأجرة القطار وسائر نفقات السفر وهي غير قليلة ؛ فضلا عما احتسب عند الله من خراب الأجزاخانة ودمار العيادة وفرار الزباين وسرقة شبابيك الدار .

وهو لا يتعمّل للدرهم ولا يجرى وراءه ! أما اذا سقط الدرهم الى جيبه فلا الى رُجعي ، فمثله في ذلك مثل المصيدة لا تجرى وراء الفار ؛ فاذا سقط اليها الفار ، فهيئات ليس له منها فرار . وله في هذا الباب أحاديث مذكورة ، وأفأكيه منشورة .



وبعد فالدكتور محبوب ثابت أمةٌ وحدَه بما اجتمع له من الصفات ،
وما آحتشد لديه من فنون المعلومات ، وما تكدّس عليه من ألوان التّبعات .
وهو إذا اعتبر لنفسه حق التحدّث على كل شيء ، والدخول في كل دقيق وجليل
من شؤون البلاد ، فقد وجب بازاء هذا أن يكون لكل مصرى فيه نصيب .
وانى لأقترح على الحكومة أن تُصدّر قرارا بتزع ملكيته وإضافته الى المنافع
العامة ، وإعلائها ، بعد العمر الطويل ، تجعله من نصيب دار الآثار ، حتى يظل
رمزا لتلك العبقريّة الفريدة على طول الأعصار !

الدكتور محبوب أيضا^(١)

وإن الحديث ليحلو دائماً في الدكتور محبوب راسباً في الانتخاب ، وعضواً في مجلس النواب ، كما يحلوفيه مُباحاً في طلب السودان ، ومشغولاً عنه بالكلام في المماط والحوان . واني لأوفر هذا الحديث على عتاب صديق صاحب « الكشكول » على قسوته هذه الأيام على الدكتور وإغلاظه القول فيه بعض الأحيان . والأستاذ فوزي يداين صاحبه بقسط كبير من نجاحه في الانتخاب ، فلقد طالما أيده بشديد القول في جريدته القوية ، كما آزره بشخصه في الاسكندرية إذ حَزَّ به الأمرُ وأعوزه النصير .

والأستاذ انما ينقم من الدكتور أنه حين استوى على كرسى في مجالس النقاب تكثرش لسانه في شدقه وتقبض ، فلم يعد يهتف بالسودان ولا بملاحقات السودان ولا بشيء مما كان يُمنى به ناخيه ، ويصدع به رؤوس المختلفين الى (صوت) ، وقهوة الشيشة ، وتقابة العمال ، ومطعم (الكوارع) ، وحلواني محطة الرمل ، والمترددین على عيادته من كل أرمد العين ، ومضروب بالفالج ، ومقروح الكبد ، ومن خرج به جرب أو برص ، وشاك مرض القلب وخفقانه ، أو وجع الضرس وضربانه ، ومصدورة تدارك بالعلّة زفيرها ، وماخض علا صياحها وزحيرها . وحين أظفره ناخبوه بمقام النيابة نسي وعوده المعالجة بالسمن والعسل ، وخقر عهوده لأهل (١) مقتبس مما نشر بجريدة السياسة اليومية في إحدى (ليالي رمضان) بمناسبة حملة الكشكول على الدكتور محبوب .

مينا (البصل) ؛ وترك حديث السودان في مجلس النواب ، وأقبل على حديث (الكفاة) والكباب ؛ وترديد ذكر الفطائر المدحوة ، والقطائف (المحشوة) ؛ والدجاج والسكابيغ ، والدجاج والطهايبج ؛ والثلجان المحمرة ، (الطوجن المعمرة) ؛ وكل ما يعالج بالسمن أو بالزيت ، وما يصنع في السوق وما يُطهى في البيت !!!

وما خفر الدكتور بالذمة ، ولا خاس بعهدة للأمة ؛ فانما كل هم الدكتور كان من أمر السودان أن (يقنع) المصريين بضرورة أخذه ؛ وقد سعى الرجل في هذا ودعا ولبت في دعوته تيك سنين طوالا لا يكَل ولا يَمَل ، ولا يتقطع ولا يحتبس ، ولا يتتبع ولا يعثر ، ولا يسكن ولا يفتّر ، حتى اذا آتت دعوته أُكلها (واقنع) المصريون كلهم (تقريبا) بأن السودان ضرورى لهم وبأنهم لا غنى لهم عن ماء النيل ، شمر ذيله وطار الى سوريا وظل دهرًا يُقشئ فيها دعوته ، حتى إذا آمن السوريون كذلك بأن السودان ضرورى للمصريين عاد فأمسك عن القول في السودان وماحققات السودان . وما له يقول فيه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ؟ ولو كنت لعمري مكانه لطلبت الى الأمة إحالتى على المعاش وأثبت في بطاقة زيارتى :

الدكتور محبوب ثابت

مطالب بالسودان سابقا وعضو مجلس النواب حالا

وحسبُ الرجل خدمةً للأوطان ، أن (أقنع) المصريين بحاجتهم الى النيل وحاجتهم الى السودان ! و«الوطنية» كما تعلم فنون ، والله في خلقه شعون !!!



فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

الدكتور على بك ابراهيم

رقيق الجسم ، أدنى الى أن يكون هزيله ، أسمر اللون ، مستطيل الوجه ، غليظ الشفتين في غير قُبُح ، واضح الثنايا ، لعينه بريق وفيهما جمال . متفخم اللفظ ، تاؤه بين التاء والطاء ، وزايه بين الزاي والطاء ، وادع النفس ، هادئ السعي ، خفيف الروح ، ظريف المجلس ، لا يجد العُنف الى عواطفه سبيلا ؛ يقصد في طربه ، كما يقصد في غضبه :

فيه حدّ الفتي وحلم المزكّ * وحجى الكهل وارتياح الغلام

ولعل هذا الهدوء العجيب من أبلغ العناصر في نجاحه في عمله المرعب الدقيق . وشأنه كشأن جميع النوايع في الدنيا : ليس لهم من مظاهرهم مايدل على أخطارهم ، إلا أنك لا تستطيع ألاّ تلاحظ أن لهذا الرجل أصابع ليست من جنس أصابع سائر الناس ، فانها تسترعيك بطولها وسراحتها وانسجام حلقها ؛ على أنه اذا تحدّث رأيتَه يستعين دائما بسبابته ووسطاه فما تزالان كالقِصّ في انفراج والبثام الى أن يفرغ من حديثه ، حتى إنك لتعرفه من أصابعه كما تعرفه من وجهه ، ولو قدّرمصوّر أن يرسم أصابعه وحدها لدلت عليه الى غاية الزمان .

لقد تسنم غارب المجد، وبلغ من الشهرة ما تتقطع دونه علائق الآمال ،
وهو مع هذا لا يحفل قط بما كان ولا بما سيكون ولا بما سوف يكون ،
ولا تحسبه يطمع في أكثر من أن يعيش في غمر الناس كسائر الناس .

يا له من رجل ! لقد تكون في مجلسه معه غيرك ، ولقد تكون معه وحدك
وأنت مفيض أسبابه ومطلع سره ، فتعرض ذكرى فلان الجراح فيقول لك :
« بالث فلان ده ، ويومئ لك بأصبعيه سالفى الذكر ، ده والله جراح ماله مثيل !
ده شئ من فوق التصور ! لو كان للجدع ده بخت ما كان حد زيه فى الدنيا ! »
يقول هذا فى رضا وصدق نفس وراحة أعصاب ! ... والواقع أننى لا أدرى
أكان هذا كله قد جاءه من طبيعة صفاها الله من كل ما يتداخل أرباب
الفنون ، أم أنه تمكن من نفسه واستوثق من أنه لن يتعلق أحد بغيره معها
افتن لإخوانه الجراحين فى ألوان الشهادات !

ثم هو شديد العطف على إخوانه الأطباء عامة ، عظيم العون لجماعتهم ،
رطب اللسان فيهم .

ومن أظرف نوادره أن رجلا من كبار الأغنياء قدم إليه يشكو صالة
لا تتصل بالجراحة ، فقال له : يا عم لاشأن لى بمرضك فاذهب الى الدكتور فلان
أو الدكتور فلان أو الدكتور فلان ، فهم الذين يحسنون « تشخيص » علتك
ويقديرون على علاجك . فقال الرجل : بل إنما قصدت اليك أنت ولسنت
أرضى أحدا يداوينى غيرك ، وجئت معى بكذا وكذا من الأموال فخُذ منى ،
على أن تعالجنى ، ما تشاء ! فقال له الدكتور : وأنت اذا أعطيتنى ما تشاء

فإن أداوى علتك لأنها ليست من عملى ولا نتصل بفتى إنما أنا رجل جراح؛
فألح الرجل وتضرع، فلما أعياه أمره قال له: اسمع يا عم، لو تألف (كالون) بيتك
هل تنجى له بنجار أم بكوالينى؟ فقال بل بالكوالينى، فقال له: مرضك هذا
أنا لا أعرف فيه، قال الرجل: فماذا تصنع إذا؟ قال له: أنا أفصح لك كرشك،
أكسر رجلك، أقطع رقبتك! . وهذا الذى أعرفه. فانصرف الرجل مقتنعا
راضيا! .

ولست أحاول أن أصف لك قَدْر الدكتور على ابراهيم ولا نبوغ مَبْضَعه،
فحَسْبُه أن سلم الناس اجماعهم له بأنه مَفْخَرَة من مفاخر هذه البلاد . ولقد
قلتُ لأحد الأطباء يوما: صِف لى بَرَاة الدكتور على ابراهيم؛ فقال لى:
أعرف أنك تحب الغناء وتهوى الموسيقى، ولو كان لك عِرْق فى فن الجراحة
وقُدِّر لك أن تشهد "عملياته" لوجدتَ لأنامله من الطرب مالا تجده لأنامل
«العقاد» وهى منطلقة فى أوتار قانونه الحَنَّان الطروب .

على أن نبوغه لم ينته الى حَذَق الطب والمهارة الباهرة فى فنّ الجراحة،
بل إن له فى كثير من «العمليات» ابتكاراتٍ من ذلك النوع الذى يؤثّر
ويُدرّس ويُحدِّث فى نظريات الفن أحداثا .

ولإنهم ليروون عنه جهدا عظيما فى متابعة الحركة الطبية فى العالم، فهو
كثير القراءة والنظر فيما يخرج فى هذا الباب من المجلات والكتب والرسائل،
حتى إذا وقعت له نظرية حديثة فاستوت لذهنه أقدم على تطبيقها بنفسه،
فكان نجاحه دائما كعزمه قويا جليلا .



وبعدُ فإنَّ جهلاً أنْ يُظنَّ امرؤ أنَّ للعقريات في العالم أسباباً معينة معروفة ، فما كان هؤلاء العقريون أصحَّ من غيرهم أبدأنا ، ولا أكثر قراءة ، ولا أعكف من سواهم على الدرس والتجريب وتقليب النظر ، ولا أطلبَ من عداهم لتلك الأسباب المفروضة للبراعة والتبرُّز ، فلقد كان البُحْثِيُّ شاعراً في سن العشرين كما كان شاعراً في سن السبعين ، وكان ابن المقفَّع كاتباً وهو ابن الثماني عشرة كما كان كاتباً حين قُبِضَ وهو في الثامنة والعشرين ، وكان رفاييل مصوراً رائعاً يوم جالت يده بالنقش كما كان مصوراً في غاية عمره ، وكذلك كان على ابراهيم جراحاً أول منجِّمه كما هو جراح اليوم ؛ انما هي مواهب من الله تعالى يتغيَّر لها من يشاء من عباده لم يتكشف العلم عن كنهها ولا سببها الى اليوم .

وإنك لتجد الطبيب يُصيب دائماً في تشخيص العلة الا قليلاً ، وإنك لتجد الآخر يُخطئ دائماً في تشخيصها الا قليلاً ، ووسائلهما في الفن واحدة ، وحظهما من العقل والعلم وسائر الأسباب متكافئة ! . ذلك أن هنالك حساً دقيقاً غير تلك الأحساس المعروفة يكاد يتفطن به من آثره الله به الى مطاوى الغيب ، فيقع الشيء في نفسه يحسبه إلهاماً لأنه لا يعرف له علة ولا يحيط منه سبب ، ومن هؤلاء الذين اصطنعهم الله لهذه الموهبة الدكتور على بك ابراهيم .

ومما يذكر له أنه في سنة ١٩٠٣ لُوحِظت كثرة الوفيات في قرية موشة ، من أعمال مديرية أسيوط ، فنذبه مدير الصحة ، وكانت له به ثقة عظيمة ،

ليُحقق الأمر، وكان بعدُ فتى ناشئاً، فأدرك أنها الكوليرا، فكتب الى الصبحة بهذا وأرسل رَجِيع بعض المصابين لتحلله، فلم ير «التحليل» أثراً للكوليرا، فراجعها وأرسل غيره، فكان الأمر كذلك، فصمَّم الفتى واستبدَّ من ناحية، وصمَّم أطباء مصلحة الصحة وكيماويوها من ناحية أخرى، ثم أبى العلم وأبى «التحليل» الصحيح إلا أن يُظهر رأى على إبراهيم على تلك الآراء جميعاً، وكانت الكوليرا التي عصفت سنة ١٩٠٢ بالبلاد عصفاً شديداً، والى أبلى هو فيها، حتى تقلص ظلها، بلاء عظيماً.



وسبحان من يقوّن قضاءه باللطف، فإنه في الوقت الذي بُثَّ فيه هذا الترام في شوارع البلد وأزقته يدك الرءوس، ويحصد النفوس، وأطلقت آلاف الأوتوموبيلات، واللوريات، والموتوسيكلات، تقدُّ المتون، وتبعج البطون، وتأبى «الشفقة» على ساقها أن يرسلوها على خلق الله قبل أن يحشوا معاطسهم بالكوكايين، والهاروين، وغيرهما من البلاء الممين، حتى «يغيوا» عن مشاهدة ما تنسّف سياراتهم من الهام، وما تفرى من الأجسام، وما تُرسل على الناس من الموت الزؤام! ولا تنس، جعل الله لك في كل خطوة ألف سلامة، تلك السيارات العاصفة، ماله من دون الله كاشفة، وتيك التي يتخذها أبناء الذوات ومن انحدرت اليهم النعمة. وهي تتطلق انطلاق السهام، في أجساد الأنام، كأن مهمتها في هذا البلد صنع أرامل وتخريج أيتام — سبحان الذى حين يتلى البلد بكل هذا يرسل فيه الدكتور على إبراهيم، يجمع

من أعضاء الناس ما تفرق ؛ ويرث من أحشائهم ما تنحرق ، ويضم من أشلائهم ما تمزق ، حتى أوشك أن يقطع على عزرييل ، رزقه من فنه الوبيل ! .

ولقد رأيت صديقا لى من أهل الأخطار لا يرى الدكتور على إبراهيم يجوز فى طريق أو يغشى ناديا الا صفّ قدميه ووقف (زهرا) ورفع يده بالسلام العسكرى ، فقلت له فى هذا ، فقال : « علشان ياخذ بالله منى يوم أُحْمَل إليه » فقلت له : يالك من رجل مبالغ ، فكان جوابه : على كيفك لك ترمواى يترد عليه !



وجلّ من تعالى على النقص وتنزه عن العيب ، فإن جراح الشرق كله لا يملك مستشفى يليق بجلالة محله ولا بالآلاف « المجاريح » الذين يطأبون مستشفاه من كل مكان : فقد سلّطت عليه شهوة اقتناء « السجاجيد » وألوان الطّرف وإحراز ما أبدعت يد كل فنّان ، وما افتنّ فيه كل صنّع حُسن ، ومن كل ما رثت فيه العصور ونصل عليه لون الزمان ، من دُمى وتماثيل ، وتصاوير وتهاويل ، ونمازق ووسائد ، ومعاضد وقلائد ، وخُشب منجورة ، وأحجار محفورة ، ومزاليح أبواب ، وسروج دواب ، وشُرُفات دور ، و« شواهد » قبور ، وضباب مصبرة ، وجرار مكسرة الخ : ولو نقض عنه بعض ما يُحرزه من ذاك لابتقى مستشفى يليق حقا بشيخ الجراحين ! على أننا نترك الكلمة فى هذا للجاس الحسى !!!

وبعدُ فإن حقاً على أهل مصر جميعاً، ومياسيرهم بنوع خاص، أن يسجدوا
 لله تعالى سجدة الشكر كلما أطلَّت شمس الصباح عليهم اغتباطاً بأن على ابراهيم
 غير ولوع بجمع المال، فلو كانت لغيره تلك الأصابع التي «تسرق الكحل من
 العين» لآثر أن يكون «نشالا». إذا والله لسئل الآلاف، ولأحرز أكثر مما
 تُجدي «الجراحة» أضعاف الأضعاف، ولما أبقى في جيب على كيس؛
 ولا هنيئاً الناس بكريم ولا نفيس؛ ولكن قدّرفكان، وسبحان من «يعطي
 الحلقة للى بلا ودان» . . . ! ! ! .



”مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ ،
وَمَنْ أَرَادَهُمَا مَعًا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ“

أحمد لطفى السيد بك

لا أدري، أعلمه أوفر من عقله، أم عقله أوفر من علمه؟ إلا أنه أوفى بهما كليهما على الغاية. وهو عالم واسع العلم، وعامل واثق العقل، وذكى متسعر الذكاء. له عينان حديدتان كأنما تمتد هما أشعة (إكس) فلا يكاد يقوم بينهما وبين ما تريدان حجاب؛ وإنه ليحاول أن يستر عنك إدراك هذا منه بمنظاره الأسود، كما حاولت الطبيعة أن تكتمه على الناس بما ضيقت في محجرهما تضيقا!

وأحمد لطفى السيد قد بان خطره من يوم نجم، فكان طالبا في مدرسة الحقوق لا تعنيه مُدرسة القانون المدنى، ولا يحتفل لقانون تحقيق الجنايات، ولا يهمه أين تقع (نمرته) من سلك التلاميذ في امتحان زاية العام قَدَر ما تعنيه مُدرسة المنطق والفلسفة وعلوم الاجتماع؛ على أنه كان مُجَلِّيا في الأولى كما كان مُجَلِّيا في الثانية. وبهذا خرج لطفى على غير ما يخرج سائر التلاميذ، خرج وله عِرْق في الحكمة والمنطق وسائر علوم النظر لا يتيسق في العادة لإخوانه «الحقوقيين».

درج مدرّج نظرائه في الحياة العملية حتى كان نائبا أورئيس نيابة؛ على أن خطبه في ذاك لم يكن جليلا، فقد انصرف همه، إلا أقله، إلى تحصيل العلم والأدب وأخذ العقل بالتدبير وصدق النظر، وأخذ اللسان والقلم بفصاحة

القول وقوة البيان بالحديث والخطابة، وبالترجمة والتأليف، وتارةً بالكتابة في الصحف في ألوان الموضوعات .

ثم كان حزب الأمة وكانت «الجريدة» وتهاوت الأنظار على من يقوم بها كفاءاً لمهمها الجسام، فوقعت كلها عند لطفى السيد، وتولّى الجريدة فكان كاتباً لا يُبَارَى كما كان صحفياً لا يضارَع . وبانت له موهبة جديدة أحوج ما يكون إليها امرؤ يتولّى تلك «الجريدة» في ذلك العصر، وهى شدة الطبع والصبر على الخصومة وطول الكفاح . وناهيك بمن يصمد للقتال إذ شيخُ الكتّاب على يوسف يتولاه عن يمينه، وإذ فنى الوطنية مصطفى كامل يقض عليه أحيانا من شماله، وإذ أمّاه، ولا أسمى، من لا يُسَقِّ في الكيد عُبارَه، ولا تُصْطَلَى في الجُلَى ناره . ومهما زعموا أن وراء حزب الأمة كانت قوة تعضده وتشدّ متنه، فما كان من شأن هذه القوة أن تُقَرَّب إلى هوى الناس جريدةً، وكانت في الوقت نفسه تتحدّث على أمانى البلاد وتطلب أن يسودها حكم الدستور، وإن طلبته دستورا «متواضعا» كما كان يهتف أستاذنا الجليل — ومع هذا فقد تهيأ لمقدرة لطفى أن تستدرج الخاصة وأشباه الخاصة في عامة البلاد، وأضحت دارُ «الجريدة» منتدى أهل العلم والأدب والرأى الصحيح ينتجعونها من كل مكان .

لم يكن لطفى في سنيه تيك صحفياً فحسب، بل كان أستاذا يشرع في العلم والفلسفة وفنون الاجتماع، وكان له طلاب من الشباب أهل المواهب والذكاء، فمراقك اليوم من علم فلان، وما أعجبك من عقل فلان، وماراعك

من أدب فلان ؛ فأولئك ، فى الحق ، أكثرهم من صنعة لطفى السيد فى تلك الأيام .

وهو رجل له ، أو كانت له ، شخصية قوية : له نظره ، وله تدليله ، وله أسلوبه الكتابي ، بل وله إيماءاته وحديثه . وإن كثيرا من كانوا يطوفون به ليقلدونه فى كل ذلك ، فمن أعيا عليه تفهم علمه وأدبه راح يقلده فى شكله ودلّه ، ويمحاكيه فى لهجته ومخرجه حروفه .

ومن ظريف ما يروى فى هذا الباب أن فتي من أبناء الحكام أصحاب لطفى كان يُعجّب به هو الآخر طوعا لإعجاب الناس ، فكان جهد حيلته فى بلوغ بعض شأو لطفى أن ينسلّ الى حلاقه فيسأله أن يسوّى له رأسه كما يفعل بشعر الأستاذ سواء بسواء ، ثم يغدو على الناس بعد ذلك يقيض صوته ويسّله ، ويلويه ويعّده ، ويفككه ويأجمه ، ويرققه ويفخّمه ، ويثني عطفه من زهو واستكبار ، ويهزّكتفيه من استنكاف واستنكار ، ثم يعود الى نفسه فيراها قد استوت « لطفى السيد » فى غير جهد ولا عناء ! وما دام العلم والفلسفة كلها إنما تتصل « بالحلاقة » فلماذا يقف صاحبنا عند هذا الحد ؟ وإنى لأراه يغدّ^(١) السير فأسأله الى أين يا فلان فيقول الى الحلاق فقد اعتزمت اليوم أن أحلق « مونتسكييه » أو « أوجست كونت » أو « چان چاك روسو » أو غير أولئك من ضخام الرجال . ومثل هذا عندنا ، لولاحظت الناس ، كثير ! .

(١) يغدّ السير : يسرع .

ونعود الى الأستاذ لطفى فقد ظل في كفاحه وجلاده، إذ خاصة الناس كل يوم عليه في إقبال، حتى ضعفت أفاعيل السياسة حزبه فكان آخر من ألقى السلاح. ثم عاد الى النيابة فلم يتصل شأنه فيها بجلالة شأنه حتى كانت سنة ١٩١٩ فضحى بالمنصب في سبيل الثورة، وانتظم في الوفد المصرى عضوا فكان فيه عنصرا قويا، وكان أداته في أكثر ما يُخرج للناس من بيان مكتوب. وانطلق مع الوفد الى أوروبا ولبت معه عاملا نافذا، ما شاء الله أن يلبث، ثم عاد مع من عادوا أول الأمر. وتظهر بوادر الشقاق فيبدوا أن يتحفظ فيتحفظ، ثم يستفحل الخطب فيهديه عقله الى أن يتسلل الى داره في رفق فيفعل، فيبقى ^(١)حلس بينه ساءما كله حتى يُطلب لما هو أليق به وأكرم، فيتولى دار الكتب المصرية ينظر في شأنها بعض اليوم، وينظر في شأن العلم سائره، وكان من حظ «نصف العزلة» هذه، أو من حظ العلم منها، أن أتم ترجمة كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس (الى نيقوماخوس)؛ وما كان الإبداع في ترجمة هذا الكتاب بأبلغ من الإبداع في الإقدام على إخراجها في مثل تلك الأيام !!!

ولقد فاتنى أن أقول لك إن هذا الرجل الذى ضحى بالمنصب في سبيل الثورة، قد عاد فضحى بالثورة في سبيل المنصب، فأصبح كما يقول أصحاب الميسر (كيث) لاله ولا عليه. والى هنا ينتهى عندى تاريخ ذلك الرجل العظيم! وعساك تتحدانى بأنه أصبح الأستاذ الأعظم الرسمى في كل البلاد من يوم أصبح «مدير الجامعة» فأجيبك بأنى «ما عندى خبر» بشئ من هذا كله؛

(١) يمكث فيه لا يبرحه.

وكيف تريدني على أن أصدق أن الأستاذ لطفي السيد كله أصبح مدير الجامعة المصرية في حين لم أسمع بأنه أفاض على الطلاب درسا أو ألقى محاضرة في العلم واحدة؟ فإن كنت تريد «بمدير الجامعة» ذلك الموظف الذي ينكسر همه على طلب كسب الحجاب والسعاة، و«تسوية» أجور البوابين والجنائنة و«العرض» لوزارة المعارف عمن يلزم ترقيتهم من جماعة الكتاب، فليس ذلك بالرجل الذي يعنينا في مثل هذا المقال ! .

الحق أن لطفي أستاذي، ولأنه ليسوءني أن يختم حياته في هذه «الجامعة» من حيث يجب أن تبتدئ الحياة القوية لعظماء الرجال ! .
والواقع أن الداء «الأجنبي» قد تفشى تلك الجامعة في حين لم نزل ذلك «الحكيم» قولا ولا عملا! ولو كان هذا المقام مقام تفصيل في مثل هذا الباب لباديت أستاذي العظيم بكثير ! .



ولطفي بك يجمع الى عذوبة الروح عذوبة الحديث، وهو أديب تام يحفظ صدرا عظيما من متخير شعر العرب ومأثور أقوالهم، الى فقه في متن اللغة ورعاية لدقائقها، وبخاصة اذا كتب أو حاضر أو خطب . وله في أبواب البيان والترسل أسلوب خاص به حاول كثير من الكتاب أن يتكلفوه فانقطعوا دونه . وهو شديد الحرص على أن يُرىك أنه لا يعبا بتجويد العبارة ولا يتحرى اللفظ الرشيق إذ هو في الواقع يجهد في هذا ، رغم عنايته بالمعاني والتكثير من إيراد مصطلح العلماء، ويتعمّل له الى ما دون التعسف .

وهذه الصفة فى لطفى السيد إنما تتصل بأخلاقه جملة ، فهو رجل قد أخذ نفسه من كل أقطارها بألوان التكلف : يتكلف فى مراح الشباب ثقل الشيوخ ، ويتكلف فى مجلس اللهو هيئة الجِد ، ويتكلف عدم الاكتراث لأعظم ما يكرهه من الأمر ، بل إنه ليتكلف الكلام « بالحناف » إذ هو قد نجم فى بيئة لم يعد يرتبطها بأهل الرف سبب !

نعم لقد أخذ نفسه بهذا التكلف كله حتى أصبح له طبعاً وسجية . وأكبر ظنى أنه لو شاء يوماً أن يرسل نفسه على سجيته لتكلف فى هذا كثيراً .

ولطفى بك أول من رفع راية « الديمقراطية » فى مصر فى هذا العهد الحديث ، وهو الذى نفخها فى روح الشباب وأجرى كلمتها على ألسنتهم ، وعصارة الحزب الديمقراطى من تلاه يذ لطفى ولا جدال ، وإنك لتراه مع هذا أرسى قراطى الفكر ، شديد الأثرة للرأى ! ولقد تخالفه الى غير وجهه فى أبى إلا أن يغلبك ، ولقد يغلبك بحض الجدل يتعرف فيه تحرفاً ، وهو رجل يملك حجة ويعرف كيف يصول بها عليك فى الحوار ، فإذا كنت أنت الآخر جديلاً متمكناً من حجتك وأحس منك السطوة برأيه رأيت فى وجهه تغيراً وآنت من نفسه عنك انقباضاً .

ولا أدرى أكان هذا من أثر تمكّنه من نفسه وشدة إيمانه بحقه وكراهته أن تنزل من الرأى على باطل ؟ أم أن للسألة وجهاً آخر ؟ !



وإذا كنت لم أقع من لطفى على أجل فضائله ، فعلى قد تهديت الى أجل مكارهه ان كان ما هتفت به يعدّ فى المكاره ، وإنى لأرجو بهذا أن أصيب

رضاه كاملاً . ولقد دخل رجل من الناس على بعض الحكماء فأقبل عليه
يمدحه ويعدد محامده ، فقال له الحكيم : يا هذا أولى لك ؟ وان إِبْجارك لما
ترى فيّ من فضل لدليلٍ على أنك لا ترانى كفضأ له ، فلو قد دلتنى على هَنَاتى !
فتملك التى ليست بكفاء لى .

أسأل الله تعالى أن يعيننا على خدمة أساتيدنا وأحبابنا فنحن في حقوقهم
من هذه الناحية جِدّ متصّرين !!!



لا أبالي لِمَ نَفَعَ الأفارب والأصهار، أجبّ النيلُ أم ذَوَت الثَّمار!

اسماعيل سرى باشا

طويل القامة ، كبير الهامة ، عريض « الوجهة » نائى الجبهة ، ضخم الأنف ، مرسل اللحية والحاجبين ، له عينان متحيرتان ، دائماً الحركة والدوران ؛ نفضت الطبيعة على هيكله كل جلال الشيوخ ويأبى هو إلا أن ينفذ على لسانه كل خفة الشباب . فاذا أنت رأيته كدت تعلق نفسك من روعة وإكبار : جلالة علم فى جلالة منصب فى جلالة مشيب . حتى اذا سمعته يحوض فى بعض من لا يحبهم ويستريح اليهم لم تكذبك نفسك من الاستنكار أو ما هو أشد من الاستنكار !

وسرى باشا مهندس بارع ، كفء ، فى بابه ، لكل عظمة ؛ وهو شيخ المهندسين المصريين وإمامهم غير مدافع . وإن له فوق هذا لشهرة عالمية ، فقد دفعه خطره وسعة علمه وصحة تقديره وقوة ماضيه الى أن يسلك بحق فى زمرة كبار المهندسين فى العالم .

وسرى باشا ولد فى عائلة رقيقة الحال فى قرية (ريدة) من أعمال مركز المنيا ، ونزح والده الى قسبة ذلك الإقليم لا يتكئ إلا على بدنه فيما يكون أرد على شمله ، فاستخدم فى ديوان المديرية فى عمل لا يتسق لذكائه ولا لقوة استعدادده ، فتطلعت نفسه الى ما هو أولى به وأجدى ؛ ولم يُلْهِهِ عمله المضنى عن أن يتعلم القراءة والكتابة ، وما زال دأباً حتى أحسنهما وحتى عين كاتباً فى مديرية الفيوم ؛ ولأمر ما نُفِىَ عمدة المنيا الى السودان فعين بدله

محفوظ افندى ، وأدخل ولده «اسماعيل» فى مدرسة المنيا مع حسن فتحى الذى صار بعد مفتشا للرى ؛ وظهرت تحايل النجابة على ولده هذا اسماعيل ، وبرع أقرانه ، وما برح له السبق عليهم حتى اصطفى فيمن اصطفتهم الحكومة «للارسالية» ؛ فمضى الى فرنسا واتصل بكلية «سنترال» حيث درس الهندسة وخرج منها بأعلى شهاداتها .

وعاد اسماعيل سرى ، فاتصل بخدمة الحكومة مهندسا صغيرا ؛ وتدرج بكفائته فى مناصب وزارة الأشغال حتى أصبح مفتشا «لعموم المشروعات» ؛ ومن ذلك اليوم رتت الآفاق باسم اسماعيل بك سرى فى المهندسين العظام .

وفى الحق أن ما متع به كبد الصعيد (مديرية المنيا وطرفا أسيوط وبخى سويف) من رى صيفى فإقبال زرع فسعة ثروة ، إنما كان من صنعة اسماعيل سرى ، مهما عدوا على تلك «المشروعات» من العيوب .

وفى الحق أيضا أنه — بعد أن طويت من صحيفة وزارة الأشغال أسماء المهندسين المصريين حين أودى الردى بعلى باشا مبارك واسماعيل باشا محمد وبهجت باشا وأشباههم من النواظير الأولى — كان اسماعيل سرى أول من بعث على الألسن أسماء المصريين مع ديبوى ووليم جارستن وأكفائهما من المهندسين الانجليز .



ولو قد ترك اسماعيل باشا سرى فى عمله الفنى البحت لأجدى بعلمه على البلاد كثيرا ؛ ولكن الرزية كلها فى المناصب ، وقاتل الله المناصب ، فقد قلد الوزارة ، والوزارة سياسة أكثر مما هى فن ، والرجل لا يتخذ السياسة ولا يفهم

منها إلا القدر الذى يعصم عليه منصبه ويستديم له أبهة الوزارة وما اليها من الراتب، والجدوى على الأولاد والأقارب .

ويبالغ صاحبنا فى الإخلاص لهذا المعنى ويُفْرِط فى الحرص عليه الى حد أن يُسَخَّر، اذا دعت الضرورة، كل ما أُوتى من علم وفن لخدمة السياسة ولو أودى فى هذا السبيل، بكل وادى النيل؛ حتى ظفر فى عهد اللورد كتشنر، إن عدّ هذا من الظفر، بتلغراف تأييد من حكومة إنجلترا يضمن له السلامة «والنغمة» فى المنصب والجاه على طول الزمان !

وانى لأعرف طائفة من المصريين كانوا، ولعهم مازالوا، يراءون أهل السلطة من الانجليز ويتجمّلون لهم ويظاهرونهم بالمودة والعطف استخراجا للنافع، اذ قلوبهم لا تتطوى من ذلك على كثير . أما اسماعيل سرى باشا فهو لا يمارى القوم فى هذا ولا يرائيهم؛ فانه مخلص الحب لهم صادق الصبابة فيهم، يوالهم بالهوى فى سره، كما يتشيع لهم فى جهره، لا يتحرج فى ذلك ولا يتأثم؛ والإخلاص، لو علمت، فنون ! ...



ومن أظهر صفات هذا الرجل أنه وَصُولُ لِرَحِمِهِ، دَائِبٌ جَاهِدٌ، فى غير مَلٍّ ولا سَأَمٍ، على كل ما يعود بالخير على ولده وأصهاره وسائر عشيرته؛ ولو مدّ له فى الحكم وبُسِطَ له فى السلطان «لَرَفَّت» جميع موظفى الحكومة، وجمّع الى كل فتى من أهله ٥٧ وظيفة فى آن واحد، حتى يستطيع أن يقصر وظائف الدولة عليهم فلا يتولّى واحدة منها خارج عنهم . وإن له فى دسّهم

فى الوظائف والقفز بهم الى عليا المناصب لأحداث تُجمع وتُنشر، وأفأكية تُروى وتُؤثر؛ وحسبك أن تردّد النظر فى دواوين الحكومة وسائر مصالحها لتقع فى كل واد على أثر من ثعلبية . ولقد بدا يوما لبعض الحسدة أن يجمع ما يجيبه «آل سرى» من أموال الدولة، فخرج له منها ما يقوم بنفقات مصالحة كاملة (وعين الحسود، فيها عود) حصنت آل سرى برب القاق، من شرّ ما خالق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شرّ النفاثات فى العقد، ومن شرّ حاسد إذا حسد .

ومن طريف ما يروى له، وكلّ ما يروى له فى هذا الباب طريف، أن وزيرا كان من زملائه له قريب فى وزارة الأشغال فسأله أن يرقّيه الى بعض مناصبها الحالية لأنه «قد استحق الترقية»، فتناقل عنه سرى باشا وتعذر عليه، وتوسّط فى الأمر بعض اخوانها من الوزراء فقال لهم معالى «وزير الأشغال» ولماذا أرقّى له قريبه وعنده قريبي «فلان» لا يرقّيه! فقليل له ولكنه لم يحنّ بعد أو أن ترقّيه؛ قال: اذن تتربّص بقريبه حتى يجيء الدور على قريبي . وتعلّم، أيدك الله، أن صاحب الحاجة أرعن، فبادر الوزير الآخر بترقية قريب سرى باشا بالاستثناء فى سبيل ترقية قريبه هو بحكم الدور !!!

وجاءه مرة أحد زملائه الوزراء من هذا الباب فسأله أن يرقّى أحد صناعته درجة على أن يرقّى هو أحد أقرباء الباشا فى ديوانه درجة، فدار بذهنه «الرياضى» الكبير فى «الحسبة» فرآها «تفرق» ٢٤٠ قرشا فى كل شهر فتوقّف أو يوفّاها «على داير القرش»، وتعاصى الأمر، وتعذرّ الحل،

وأخيرا وبعد طول محادثات ومفاوضات توسط أحد الوزراء أيضا في الأمر على أن يزيد قريبا لسرى باشا في وزارته هو مائتي قرش ، على أن هذا كل ما تبلغه طاقته ويدخل في جهده ، وذلك كله تفاديا من وقوع أزمة وزارية (Crise Mimistérielle) ، وبعد لأي رضى سرى باشا بهذا الحل محتسبا عند الله ، قرشا في كل شهر : كانت — لو أن في البلاد عدلا وانصافا — تعود على بعض الولد أو الأصهار أو الأقرباء ، بشيء ، ولو قليل ، من اليسر والسعة والرخاء !!! وكانت تضحية من نفس سرى باشا هائلة استحق بها أن يقام له تمثال ، يخلد به « المثل الأعلى » للتضحية والإيثار على تطاول الأيام والليال !!!



مَنْ أَطَاقَ التَّيَاسَ شَيْءٍ غَلَابَنَا * وَاعْتَصَبَانَا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا

عبد الحميد سعيد بك

عَبْرِيٌّ حَقًّا كَمَا تَعْنِي اللُّغَةُ بِهَذَا اللَّفْظِ ، فَهُوَ طَوِيلٌ بَائِنُ الطُّوْلِ ، عَمْرِيضٌ
وَافِرُ الْعَرَضِ ، وَافِي الْعُنُقِ ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبِينَ ، شَدِيدُ الْمُتَنَّةِ ، مُفْتُولُ الْعَصَلِ ،
إِذَا تَمَثَّلَ إِلَيْكَ حَسْبَتُهُ بِقِيَّةٍ مِنْ هِيََا كُلِّ سَلِيْمَانٍ ! ضَخْمُ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ ، تَدَوَّرَ
مِنْ حَوْلِهِ لَحْيَةٌ كَأَنَّهَا لِاحِدَى الْآجَامِ ، بَسَقَتْ حَوْلَ بَعْضِ الْآكَامِ ! لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا
مِنْجَلُ الْهِسْتَانِيِّ بِالنِّقَاطِ وَالنَّشْدِيبِ ، وَلَمْ يَتَعَهَّدْهَا مَقْصُصُهُ بِالتَّسْوِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ ،
وَلَوْ قَدْ رَفَعْتَ النَّظَرَ إِلَى أَعْلَى وَجْهِهِ ثُمَّ تَرَخَيْتَ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ ذَقْنِهِ ، لَرَأَيْتَ ثُمَّ
مُثَلَّثًا مُتَسَاوِي السَّاقَيْنِ ! أَمَّا رُوحُهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، وَأَمَّا عِزُّهُ الصَّائِلِ
فِي نَفْسِهِ ، فَأَشْبَهَ بِسَكَّانِ هِيََا كُلِّ سَلِيْمَانٍ ، مِنْهُمَا بَعْرَازُ بَنِي الْإِنْسَانِ ؛ فَهُوَ مَارِدُ
النَّفْسِ وَالْقُوَّةِ ، مَارِدُ الْعِزِّ وَالْفُتُوَّةِ !

نَشَأَ مِنْشَأُ بَنِي الْأَعْيَانِ يُدَلِّهِمْ أَهْلُكُمُ إِلَى الْمَسَارِسِ لِجُرْزِوَا الشَّهَادَاتِ
ثُمَّ يَخْرُجُوا إِلَى خِدْمَةِ الْحُكُومَةِ ؛ وَتِلْكَ الْغَايَةُ عِنْدَ جَمْعِهِ أَعْيَانُنَا تُسَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ ،
وَلَتُنَاهِيَ عِنْدَهَا مُرْسَلَاتُ الْأَمَالِ ؛ عَلَى أَنَّ التَّلْمِيزَ عَبْدُ الْحَمِيدِ سَعِيدٌ لَمْ تَكُنْ
تُفْتَحُ نَفْسُهُ لِفَهْمِ مَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي أَسْبَابِ الْحَيَاةِ غَيْرُ ذَلِكَ الرَّأْيِ ،
لَمْ يَرِ الزَّادَ كُلَّهُ فِي أَنْ يَرَسِمَ خَرِيطَةً لِإِيطَالِيَا ، وَأَنْ يَجْسِدَ الْجُزْرَ التَّكْعِيْبِيَّ ، وَأَنْ
يَسْتَظْهَرَ مِنْ « الْكِتَابِ الرَّابِعِ » بَابِي الْأَشْتَغَالِ وَالتَّنَازُعِ لِيُخْرِجَ ، فِي النِّهَايَةِ ،
« فِي الْعَشْرَةِ الْأَوَّلِ » ، بَلْ أَدْرِكُ مِنْ شَبَابِ سَنَةِ أَنْ لَهُ وَطَنًا ، وَأَنْ هَذَا الْوَطَنُ
يَتَحَكَّمُ فِي شَأْنِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ ، وَأَنْ وَاجِبُهُ ، مَا دَامَتْ بِلَادُهُ مُحْتَالَةً مُضِيعَةً الْحَقِّ ،

أن يكون جندياً لمصر قبل أن يكون طالب علم في مصر . وعلى ذلك اتصل هذا الفتى بدعاة الوطنية ، وصرف أعظم قسط من الوقت المقسوم لمراجعة الدرس الى حديث الوطن . واذا كان عبد الحميد سعيد قد أحرز الشهادة الثانوية وأحرز بعدها إجازة الحقوق (ليسانس) فقد اختلس الدرس والمذاكرة لهما من وقت «الوطنية» اختلاساً !

ويهاجر صاحبنا الى باريس يدعو لمصر، ويرفع للعالم حجتها، ويجاهد في سبيلها بما يملك من المال واللسان والقلم، ويتخذ هنالك بيتاً يصبح مثابة لدعاة مصر خاصة ودعاة أمم الشرق المظلومة عامة، يجتمعون فيه الفينة بعد الفينة ليأتمروا في شأنهم ويستفصحوا للدعوة مناهجهم .

وتنهـد^(١) دول البلقان كافة لحرب الدولة العلية ، وتجرّد عليها كل مهاينة من آلات القتال، كما تحرك عليها كل ماتغلى به صدور القوم من التعصب الديني، فيركب عبد الحميد الى البلقان جناح النعامة، واذا هو جندي في لباس العسكر وسلاحهم، واذا هو يابى إلا أن يقاتل دائماً في الصف الأول، حتى يقع ذات ليلة في إحدى الوقائع جريحاً يترسب في دمه إذ قد انحسر عنه قومه وأقبات خيل البلغار، فما زال يتخلّج من دونها ويتخرف عنها يستتر بالظلام ويتوارى في جذوع الدّوح لا يبالي ما يترّف من دمه المَهراق حتى يبلغ على هذه الحال خطوط الترك، ولولا هذا العون من الله ما وقعت عينٌ على وكيل مجلس نواب ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ! !

(١) نهـد لعدوه واليه (من يابى منع ونصر) برزاليه وصعد له .

(٢) يتضرّج في دمه كأنه يرسب فيه لكثرة .

وتدور بعهد أولئك الأيام رحى الحرب العظمى فينخرط عبد الحميد في جندِها يتحوّل من ميدان الى ميدان، كلما أهابت به دواعي الجلال والطّمان، حتى اذا تهادّنت الأمم المحترّبة، وظهر الحلف الانجليزى، وتكسّرت دول الحلف الألمانى، وانطلقت يد إنجلترا في مُلك الله تفعل ما تشاء، هام صاحبنا في فضاء الأرض يتلّغ بالكسرة، ويتروّى بالصُّبابة، وهو سليل بيت نشأ في التّرف وتقلّب في النعمة، لا يعنيه من أمره إلا أن يدعو حيث كان لمصر، ويهتف، أئى وقع به القضاء، باستقلال مصر.

وما أنس لا أنس منظره يوم ٢١ نوفمبر وقد جرّدت دولة زيور باشا كلّ ما عندها من جيوش وخيول مهريّة، ورماح سُمّيريّة، وقنّى خطيّة، وكل عازفة مُهمّهمة، وكل قاصفة مُدْمِمة، لتحوّل بين نواب الأمة وبين اجتماعهم، ويخرج عبد الحميد سعيد متسلّحاً بعصاه التى تزن ٧٣ كيلو، وقد تهيأ للحرب والطّمان، فى سبيل اقتحام الصفوف الى البرلمان؛ فكان منظره يومئذٍ "كالتانك" سواء بسواء!

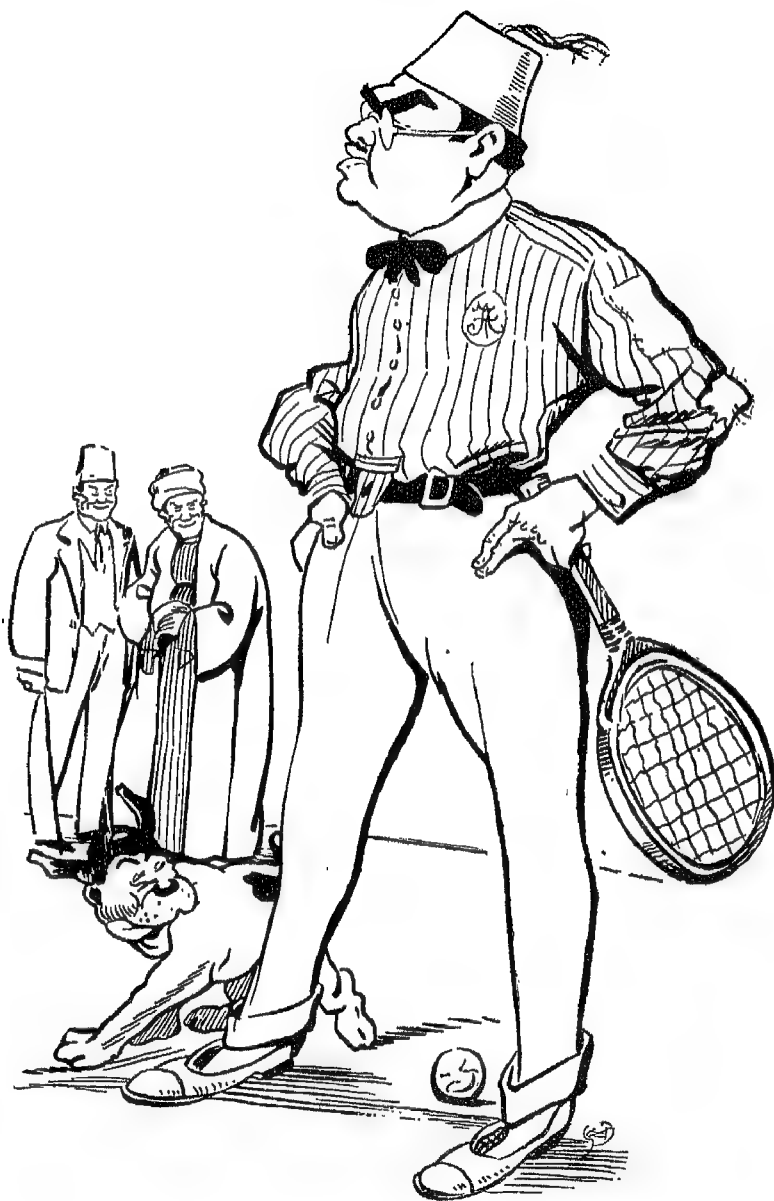
وهو اليوم عضو فى مجلس النّواب، اذا تحيّفت السنّ من بعض فتوته، وطامّن حكم الأيام شيئاً من جَمَاحه، فترك حديث مصوّع وهرر، فما زالت له قوّة على الوثب الى بلاد الأحباش، للبحث عن نهر الجاش، دلك من أمر سينار، ومن خزان مكوار!

(١) كان عبد الحميد سعيد بك قدم استجواباً فى مجلس النّواب لوزير الخارجية يتعلق باتفاق

بعض الدول على نهر (الجاش).



وبعد ، فقاتل الله العلم ، وقا تل الله الاختراع ، الحديث ، فلولا ما أخرجنا للناس
من بنادق ومدافع ، وآلات ساحقة ، وغازات خائقة ، وطائرات تحلق في السماء ،
تمطر الجيوش ألوان البلاء ، ومدفعات وطرادات ، ونسافات وغواصات ،
ترمي بكل فانك وييل ، من قذيفة وطربيل ، لكان لعبد الحميد سعيد اليوم
شأن لا يقل عن شأن الزناني خليفة ، وأبي زيد الهاللي سلامة ، والبردويل
ابن راشد ، وأصف شراب الدماء ، وأكفائهم من أبطال الحرب والطعان ،
الذين سارت بشهرتهم الركبان ، وسجل «التاريخ» بطولتهم على وجه الزمان ! ...
ولكن من سوء حظ عبد الحميد بك سعيد أنه يعيش في القرن العشرين ،
ولا أدري أكان بهذا قد ظلم التاريخ ، أم قد ظلمه التاريخ ؟ ! ! ...



قبيل ما يلعب !

فكرى اباطة !

متكور الوجه ، أَخِيفَ العينين في ضيق محاجر ، مقرون الحاجبين ، كأنما شقّ عن فيه بعد أن استوى خَلْقَه ؛ متوافر اللحم في غير بُدونة بَيِّنَةٍ ، ولو قد أَطْلَقَ ، مع قِصَرِه ، للشحم العِنان لَمَّت عليه نعمة الله كُلُّها ! ولو رأيتَه في إخوته لحسبته بعض تلك النباتات التي تخرج وحدها فلم يتعهدها منجل البستاني بالتسوية والتشذيب !

وفكرى ، على هذا ! على هذا كله ! ! . يكاد من خفة الروح يطير ؛ ولعل مما يساعده على هذا (الطيران) شكله (البالونى) الخفيف ! حلو النفس ، حلو الحديث ، حاضر البديهة ، رائع (النكتة) ، لو هُيَّ لك أن تجلس اليه عشرين سنة ما أحسست صَجَرًا ولا سَأَمًا ؛ يَسْرُكُ حتى في غضبه وحتى في خِصامه ! وإن هذه الطُرف البديعة التي يطالع الجمهور بها في الصحف لِقَطْعٌ من نفسه الفَنّانة اللعوب يُرسلها على القرطاس إرسالًا في غير كلفة ولا مطاولة ولا عناء ؛ ولعلها بهذا وحده تُشيع في الأنفس كلّ ماتجد لها من أريحية ولذة وطرب .

وهو ذكى متعلم تآم الاستعداد ؛ على أنه صرف كثيرا من هذا الى تمرين تلك الموهبة العظيمة فيه حتى أدركتْ كلّ هذا الإدراك ، وحتى استأثر بهذا الفن البديع من البيان إن لم يكن قد خَلَقَه في بلاد العربية خلقا !

وأخشى ألا يعجب هذا الكلامُ الأساتذة : علام سلامة، ومصطفى صادق الرافعي، ومهدى خليل، وصادق عتير، وأضرابهم من أصحاب اللغة . ولا أقول لهم إن لغتكم لا تتسع لهذا الضرب من (النكتة) وأسباب التظرف، ولكنني أقول لهم : إذا أبيتم ألا يتنذر الناس إلا بالفصيح الصحيح فعليكم أولاً بحفظ الأمة كلها المعالقات السبع، والملاحات السبع، والمذهبات السبع، والمستقيات السبع الخ، الى استظهار الكامل للبرّد، والأمالى للقالى، وصحاح الجوهري، ومخصّص ابن سيده، والأساس للزخشرى الخ ! . . . وأنا زعيم لكم بأن الناس لن يعودوا يسمعون فى أعراس (أولاد البلد) فى خال الغناء فى (قافية أسماء الشوارع) مثلاً : اللى على جيتك ! . . . إشمعى؟ الضرب لجر ! . . . بل سيمعون بدها إن شاء الله : هذا البادى على جثمانك ! . . . ما بالله؟ . . . من أثر المشق بالسيّاط ! . . .

وعلى ذلك فقد حق على هؤلاء وأمثالهم أن يطابقوا للناس حرية القول والكتابة فى طرفهم وسائر حاجاتهم حتى يتهياً للأمة أن تستحيل كلها (شناقطة) و(حاميز فتوح الله)، باذن الله ! ! !

نعم لقد (تخصّص) الأستاذ فكرى أباطة فى هذا النوع من البديع وبرّع فيه أيما براعة، وهذا اسمه يرت به باعة الصحف صباح كل يوم وظهيرة ومساءً؛ ولو اجتمع لاسرى فى بلاد الغرب هذا (الفن) الى هذه الشهرة نخرج فى أصحاب الملايين؛ ولكننا مازلنا فى طريق تقدير الفنون؛ على أننا كنا نتمزأ بها وبأهلها من عهد قريب !

وإذا كان الفن أجدى عليه شيئا فقد أجدى عليه حقا عضوية مجلس النواب ؛ وذلك الخط العظيم . وعلى ذكر البرلمان أهمس في أذن صديق الأستاذ فكرى بكلمة صادق مخلص : اعلم يا عزيزى ، وفّقك الله ، أن وسائل النجاح فى شىء لا تصلح دائما وسائل للنجاح فى شىء آخر ؛ فإذا كان كل ما أعدّه الأستاذ فكرى للبرلمان هو نفس ما يعدّه للصحف بلا زيادة ولا نقصان فأرجوه ألا يتّكى كثيرا على عيشه الجديد ! وليعلم (أن له ناخبين يترّد عليهم) . وليس معنى هذا أن فكرى قصر فى أداء واجبه النيابى ، أو أنه لم يكن له فى الأمر كفاية ، ولكننا إنما نطمح فى أن يكون للبلد منه فى البرلمان ، مثل ما لها منه فى عالم البيان .

على أنه مما يعزّينا فى هذا الباب أنه ما برح يتمجّجى (البرلمانية) فى مجلس النواب ، وذلك باب يحتاج الى ممارسة وطول اختبار وتمرين ؛ أسأل الله أن يمدّ فى عمرى وعمره حتى أراه فى (سنة رابعة) شيوخ ، خطيبا (برلمانيا) ليقا ، لكن لا كالشيخين المحترمين : عزيز ميرهم ولويس فانوس !

* *

وقد نسيّت أن أذكرك أن فكرى أباطة يشتغل بالمحاماة أيضا ، وأنه نحام من الطراز الجيد ، وأن له مكتبا فى مدينة الرقازيق يطلبه الناس ، وفيهم الجباه والسّروا^(١)ت ، لتولّى مهمّتهم والدفاع فى قضاياهم ، وأنه مجتد فى مهنته ، إن صح أن هذه مهنته ؛ ليقّ حسن التصرف مبسوط العلم بمدخل القانون . ومن هنا تعلم أن النبوغ فى فن لا يستهلك دائما سائر مواهب المرء الأخرى .

(١) المراد به وجهاء القوم .

ولا أدري أكون من الخير أن يوزع الأستاذ فكرى قواه على أمرين معا أو على ثلاثة، اذا حسبنا (البرلمان) شغلة ثلاثة؟ أم أن الخير كله في أن يتجرد لتربية تلك الموهبة الجلييلة التي لم يشاركه فيها كثير، على حين يشاركه ويبرعه في غيرها كثير؟ !!!

والأستاذ فكرى نخرج من عائلة كبيرة جدا كل أفرادها متعلم، وكلهم كسائر المتعلمين له في السياسة رأى، ولكنى لا أخصى في هذه الآلاف (ما شاء الله) حزبا وطنيا إلا فكرى . ولعل هذه من إحدى طُرفه كذلك !

على أن الأخلق به ألا يكون حزبا وطنيا من الطراز الجديد (Moderne) بل أن يكون وطنيا قديما محجوبا لا يقنع بالسودان من منبعه الى مصبه ومعه الملحقات وماحققات الملحقات؛ فان في الشرق القريب والبعيد بلادا ضافية الأطراف، واسعة الأكتاف، أولى بمصر أن تتولاها وصاية وانتدابا مادام الانجليز على رأى الدكتور ثابت ولعل الفرنسيين أيضا (ما يقولوش حاجة) !!!

ذلك هو الأخلق بطريف الخيال، وليُسعد التنى إن لم تُسعد الحال .
مُنَى إن تكن حقا تكن أعذب المُنَى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رَغدا



ونعمه صارث الى تكانيز * كم حجة فيسا ليزنديق

أحمد مظلوم باشا

لعمري لو وقفت على عنق^(١) من الناس فحاجيتهم : ما أطول الحظوظ
 في أطول الأعمار في أطول الأجسام؟ لأجابوك في نفس واحد : (مظلوم) !
 وجه طويل ، على عنق طويل ، على جسم طويل . ولو رأيته يمشي ولم تكن
 بعدُ عرفته لخيل لك أنه (زفة بهلوان) وقف فيها رجلٌ على كَتِفِي رجل !
 وفي الحق أنه لو قدر — لا سمح الله — وأزيل عنقه وما فوقه عن كتفيه
 وما دونهما لتمثل منهما رجلان ! أشبه ما يكون كل منهما بخلق مظلوم !

أسطوانى الرأس ، ساهى العينين ، لو تأملت فيهما ما أعطتك إلا أن
 وراءهما عدا كبيرا وزيفا في أرقام كثيرة ! مرسل الأنف ، رطب الفم ، ممدود
 الذقن ، طويل اليدين والساقين . وإنى لأخشى أن ينكشف الزمن ، ولو بعد
 حين ، عن أن مظلوما هذا رجلان (اقتصاديان) اتصالا بحيلة لطيفة حتى
 خرجا للناس في صورة رجل واحد توسلا بهذا الى ألا يدفعوا عند السفر إلا
 ثمن تذكرة واحدة ، وفي الفندق (الأوتيل) إلا أجر سرير واحد ، وفي المطعم إلا
 عشاء رجل واحد ، وللخياط إلا ثمن بذلة واحدة . والواقع أن من شهدوا
 مظلوما وهو يتعشى لا يشككون في أن (جماعة) بأسرها تأكل ، فان كان ، ولا بد ،
 رجلا واحدا فهو انما يجتري ليومه الثانى !

(١) أى جماعة منهم .

وحدثتك بأنه طويل الخط، فقد خاض به حفظه أهل الكفايات وأصحاب العلم والاختبار في عصره، فتخطى به رقابهم الى الوزارة، ويظل وزيرا أو (ناظرا) للالية في عهد اللورد كرومر قرابة ثلاث عشرة سنة الى أن دالت الأيام لعهد السير غورست وانحرف وجه السياسة فهتت تلك الوزارة هدا.

ومظلوم أكفا الانس والجن لأن يظل (ناظرا) للالية ثلاث عشرة سنة لا يلى أمرا، ولا يُراجع في مسألة، ولا يُبدي رأيا، ولا يقرأ سطرًا، ولا يكتب كلمة، ولا ينطق بحرف، حتى يقال له خذ متاعك لقد سقطت الوزارة، فلا يجد ما يحمله معه إلا أنفه وإلا يديه ورجليه، أستغفر الله! وإلا الختم! فنحن اذا أردنا أن نترجم لمظلوم باشا في حياته الوزارية فانما نترجم عن الختم، والله يعلم ما تعب إلا الختم، ولا جهد إلا الختم، ولا استحق المعاش الكامل (١٥٠٠ جنيه) في الواقع إلا هذا الختم، فطالم دار في غفلة مولاه وبرم، وطالم نقش وبصم، وبذل من أحوال الدولة أحوالا، وبدد أعلاقا وأموالا؛ وبسط للشركات الأجنبية في أرضها بسطا، وأخرج عنها جلائل أملاكها قسطا فقسطا. فاذا حملتم للبasha أيها المصريون على هذا حمدا أو لوما فاصرفوه كله الى هذا الختم وحده فان البasha والله لكاسمه مظلوم!

ويُدسى بعد هذا في (المعاش) وقد تيف على السبعين، وينقطع عن الناس خبره فلا يدرون أيكتبونه في جريدة الأحياء أم يُدرجونه في سجل الأموات، ولكن يأبى له حفظه الكبير إلا أن يبعثه بعد هذا بعثا كبيرا فيتولى

صهره ووارثه محمد سعيد باشا رئاسة الوزارة ويستقيل المغفور له الأمير حسين كامل (السلطان حسين) من رئاسة الجمعية التشريعية فيجيء لها سعيد بصهره وموثره (بعد ٥٠٠ سنة) ان شاء الله مظلوم، فيزيد في الإرث بمقدار ثلاثة آلاف جنيه في العام مرتب رئاسة الجمعية، من فوقها خمسمائة بدل ولائم؛ وسعيد كان أكيس من أن يظن أن مظلوما (يقل عقله) ويصنع في عمره لأى كان وليمة واحدة ! وتدخل الحرب العامة وتقف الجمعية التشريعية ، ويظل مظلوم (يحز) على الحكومة ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه في كل عام، حتى يأذن الله ويعلن حلها في آخر سنة ١٩٢٤ من حيث بدأت حياة البرلمان ؛ على أن حظ مظلوم لم ينحل بانحلال الجمعية التشريعية ، فقد انزلق أيضا الى مجلس النواب بل أضحي له رئيسا ، ثم صار وزيرا للأوقاف أيضا يقتضى من الراتب ما يقتضى الوزراء !

ومظلوم باشا غنى فطيع الغنى ، يجرى وراء الدنيا والدنيا تجرى وراءه حتى لم تجد بين أولئك الملايين الذين يحرزون سندات بلدية باريز عائلا مسكينا محتاجا تحبوه نمرتها الراجعة (١٠٠٠٠ جنيه) إلا أحمد مظلوم ! وله عمارات هائلة ، وأطيان تُعني مصلحة المساحة ، وأوراق مالية يُخطئها العد ، وتقود في المصارف لا تكاد تُحيط بها الأرقام ، إذ هو في وسط كل هذا (يتيم) فرد لا أم ولا أب ولا أخ ولا أخت ولا ولد . ولكنه رجل شديد البر بأهله من أولاد الإخوة وأولاد الأخوات ، فانه ليضن على نفسه بالدانق والسحتوت ، ويقمع نفسه عن التطلع الى شىء مما تتطلع اليه أنفوس الناس من ملاذ الدنيا ومُتَعها إيثارا لهؤلاء، فهل رأيت برا أعظم من هذا البر، وإيثارا أبلغ من هذا الإيثار ؟ !

وكان له بيت يسكنه في محطة (مظلوم) بالرمل ، فلاحظ أحد أصدقائه أنه اتخذ بجلوسه غرفة لا تصلح لهذا في حين قد امتلأ البيت بأحسن الغرف ، فراجعته في هذا حتى فطن الى أن الباشا إنما اتخذ هذه الغرفة لمجلسته لأن مصباح الشارع يقوم بازائها فلا تجشمه نفقة الاستصباح !

وقد عمد الى كل قصوره فشق في كل جوانبها الحوانيت ومخازن التجارة حتى انتهى به الأمر الى العيش في (أوتيل كونتيننتال) على أن يأكل في (كلوب) محمد علي فان الأكل فيه أضفى وأمرأ وأرخص !

وقد بنى له أخيرا بيتا صغيرا (فيلا) بازاء كلوب محمد علي أقامها من طبقة واحدة ، ويتساءل الناس لماذا لم يقيمها من طبةتين الأولى حوانيت ومخازن ، والثانية للسكن ؟ فأجاب أحد الظرفاء بأنه سينبئ الدكاكين هذه المرة في الطبقة العليا حين يعم نظام الطيارات إن شاء الله !

وبعدُ فما أعرف أحدا أمتن صبورا ولا أطول بالا من هؤلاء المساكين ورثة مظلوم ، فقد انتظروا أدهارا والأعمار تنصرم ، والأنفُس تُنحرَم ، والباشا ، أحياء الله الحياة الطيبة ، لا يزداد على الأيام إلا قوة ، ولا يُكسبه طول السن إلا شجابه وفؤة . ولو كنتُ مكانهم لقطعت في أحد البنوك بحبيطة عشرة أو عشرين في المائة كما تُقطع الكبيالات ، ويحيى مظلوم باشا بعد هذا كما يشاء !



الوطنية الصحيحة تعمل كثيراً ولا تُعلن عن نفسها
قاسم أمين

طلعت حرب بك

لا أحسبك تستطيع أن تتصوّر « بنك مصر » دون أن تتصوّر معه
طلعت حرب ؛ ولا أحسبك تستطيع أن تتصوّر اسم طلعت حرب دون أن
يتمثّل لذهنك في الحال « بنك مصر » ! .
وكذلك شاء القدر أن يقرن اسم هذا الرجل بأجل الأعمال .

ولو أن رجلا حدّثك من عشر سنين بأن سيكون في مصر « بنك » يقوم على
أموال مصرية ، وتقوم عليه أيدي مصرية ، لرددت حديثه من فورك الى التريد
في التمني والمبالغة في التخيل ! . ذلك أننا ، ولا أكتمك أشد ما ألح علينا
من العَلَل ، إنما كنا نتكى في كل مهمّتنا على محض التمني وعقد الآمال بما عسى
أن يصنع الغير لنا ! أما أن نضطلع بعبئنا ونعالج شأننا بأيدينا ، فذلك ما لم تكن
تُطبقه أذهاننا ! ولقد طالت علينا هذه الحال حتى دبّت اليها الظنون بأننا
لا نصلح لمعالجة عمل قومي ، لا من عجز عن العمل ولكن من توهم العجز عن
العمل ، حتى توهّنت نفوسنا ، وانبرت عزائمنا ، وانحدلت هممنا ، وشاع فينا
ضعف الثقة ، والثقة وحدها متكا كل ما ترى من عظيما الأمور . وإذا كنا
قد عاجلنا كثيرا من المشروعات القومية ففشلنا فيها كلها ، فذلك لأننا إنما
كنا نقدر هذا الفشل بحكم ما ملّك علينا أنفسنا من ضعف الثقة . وذلك
شأننا كان في كل ما نتطع اليه من مطالب الحياة ! .

وأذن الله تعالى لنا بالعافية وأحسننا ، بعد ياس ، ديبها في أنفسنا
في سنة ١٩١٩ وهبنا أمة تطلب ما تطلب الأمم ، ونُهيّ كنفها لتنهض بما
تنهض به في سبيل مجدها الأمم .

ولست اليوم بسبيل ما قام به أبطال النهضة الوطنية جميلة ، ولكنني
إنما أطوف بالحديث اليوم حول قطعة منه وهي النهضة المالية ، وحول بطل
من أولئك الأبطال وهو طلعت حرب . وهيات أن أصف قدر هذا الرجل
الفاتح بأبلغ ولا أصدق من أنه أقام لمصر "بنكا" عظيما يقوم على أموال كلها
مصرية ، وتقوم عليه أيديها مصرية ، وما شاء الله كان ! .

وإذا كان طلعت قد أقدم على هذا كله بعد إذ تخاذل الناس وأصبحوا
ولا تظن نفس بنفس خيرا ، فقد أنت مبلغ ما تسألج به هذا الرجل من عزم
وثقة حسبهما أن ملا كل هذه النفوس عزما وثقة ! .

وإذا كان طلعت حرب قد أفاد في سبيله بنهضة سنة ١٩١٩ واستغل
اشتعال النفوس بالوطنية ، وتنادى الناس بالعمل على أسباب القومية ، فقد
أضاف الى العزم حزما ، وجمع الى الثقة والإقدام بصيرة وعلم ، ذلك أنه
عرّف كيف يتخير أسعد الساعات وأكفأها لنجاح مشروعه العظيم .

لم يكن نجاح بنك مصر مقصورا على ذلك المدى الذي تدور فيه منافع
البنوك ، ولكن كان له نجاح أوفى وأبلغ ، هو أنه بث فينا الثقة وردنا في جليلات
الأعمال الى أنفسنا ، وأقنعنا بالحس الصادق أننا في مجال العمل ، غير أهل
للذلان ولا للفشل ، فهذه شركات جلية يقوم بها طاعت حرب كذلك ،

ويرفدها بنك مصر أيضا ، وقد قامت كلها قياما كريما ، ونجحت كلها
نجاحا عظيما :

هذه شركة للخليج ، وهذه شركة للملاحة ، وهذه شركة للطبع ، ولعله
ستتبعها شركة للغزل والنسيج ، وأخرى لصنع الزجاج ، حتى إنى لأخشى إذا
تمادى طلعت في هذه الشركات الناجحة أن يظنَّ جمهرة الناس أن لا نجاح
لسعى الجماعة إلا إذا قام عليه طلعت حرب ، وإلا إذا ساند بنك مصر ،
وفي هذا مساءة قد تستغرق ذلك الإحسان ! فليتدبر طلعت وليتدبر رجال
الأعمال .



وبعد فطلعت بك حرب وإن لحقته السن ما برح له عزم الشباب :
حضور ذهن ، وقوة تصوّر ، ومتانة ذاكرة ، وجودة رأى ، وصبر وجلد على
معاينة كل ما يليه من أعمال جسام .

وهو ربعة بين الطول والقصّر ، غير متّسق الجوارح ؛ مستطيل الوجه ،
لا بالقسيم ولا الوسيم ^(١) ، لا يرضيك ظاهره ؛ فإذا لابسته تكشف لك عن
حسن محاضرة ، ولطف رُوح ، وسلاسة نفس ، على خلاف الظن به والرأى
بادئ الرأي فيه ! .

وإذا استبحال هذا الرجل شعرا ما عدا أن يكون قصيدة في ديوان
أبي تمام ، لا تعجبك مطالعه على أنك تقع بعدها على أروع المعاني وأشرف
الكلام .

(١) القسيم والوسيم بمعنى .

ولقد تلقاه يوما فيطألك بكل ما تملك نفسه من أنس ويشرحني لتحسب أنه أضحي قطعة من نفسك اذا كنت أنت لم تصبح قطعة من نفسه ، ولقد تلقاه يوما آخر فيتولأك بوجه عبوس تكاد تبتل فيه غيما ورعدا ومطرا حتى لتشعر أنك في حضرة (زلزلة) لا في حضرة رجل ؛ تُعينه على ذاك الأذى عين خيفاء ، فإن ترفقت بها قلت عين حواء ، حتى لتطرق وأنت تبتهل الى ربك وتسأله أن يلغى المال من الدنيا ليجلا تحتاج الى رؤية طلعت حرب !! ولقد تبيحت الأمر وتبينته فإذا هذا (الحرب) سلم كله ، واذا هذا التجهم في هذا الوجه لا يدل على أية غضاضة في تلك النفس ! إنما الأمر جميع الأمر أن الرجل تنوء به جلائل من الأمر فيها ما يسر وما يسوء ، وفيها ما يلبس أسارير الوجه وفيها ما يربد ضواحيه ، ويعكر نواحيه ، وذلك الحظ الذي يدفعك اليه وهو في إحدى الحالين . فلو ابتغيت قبل أن تطالعه عرافاً أو ضارب تخت رمل أو (فاتحة كوتشينة) لكان أرفق بك وأبين لحظك معه !



واذا كان في بعض طلعت حرب ما لا يعجب بعض الناس فلائهم لم يفهموه ، واذا كان فيه ما لا يتجمل بالرجل العظيم ، فذلك أيضا من خلال الرجل العظيم ! .

وإن تعجب لشيء في شأنه فالعجب كله أنه عضو في مجلس الشيوخ تعرض عليه ميزانية الدولة ، وتعرض عليه كل المرافق المالية والاقتصادية في الدولة ، فيجول فيها لويس فانوس ، ويصول فيها الشيخ حسن عبد القادر ،

ويضرب فيها شيخ العرب يس أبو جليل بجرانه ، وطاعت حرب مدير بنك
مصر وأبو المشروعات المالية والاقتصادية في مصر لا تُؤثر عنه فيها طول
«الدورة البرلمانية» كلمة واحدة ! ! .

ولعل هذا أنه يريد أن يربأ بنفسه ، أو بعبارة أخرى يريد أن يربأ ببنك
مصر وملحقاته عن أى نزاع سياسى على العموم أو حزبي على الخصوص ،
طلباً للسلامة وإيثارا للعافية .

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال



وجه مصطفی ووجه فرید . کلاهما لازم لوقت « الشُّنل » فقط !

حافظ رمضان بك

لو أنك لم تكن رأيت محمد حافظ رمضان بك وبدا لك أن تُمثِّل رئيسَ
الحزب الوطني القائم على المطالبة بمصر والسودان، مضافا اليهما الملحقات، سواء
منها ما في يد الانجليز وما في يد الطليان وما في يد الأحباش، وجلاء الجيش الانجليزي
بلا قيد، ولا شرط، ولا مساومة، بل ولا مفاوضة ولا اتفاق، ولا . ولا .
الخ ... لما استطاع ذهنك أن يمثِّله إلا رجلا عنيفا حادَّ الطبع ثائرًا الأعصاب،
إذا قاولك، وبخاصة في شأن عام، تفجَّر عن مثل بركان! ... ولكن ...
ما أعظم خيبة الخيال حين تقع عينك على حافظ رمضان بك ويضمك مجلسه،
فانه لا يروعك إلا أن ترى رجلا وادعا هادئ السَّعي بطلء الحركة الى حدِّ
الجمود، تكاد تقطع بأنه قد فقد كلَّ اتصال بين أعصابه وبين معارف وجهه .
حتى لتوشك ألا يتغير عليها شيء من مظاهر العواطف المختلفة، وانه ليتحدَّث
اليك في القانون، ويتحدَّث اليك في السياسة، ويتحدَّث اليك في جميع الأسباب
الدائرة بين الناس فيجيد الحديث إجادة ينقطع من دونها الوصف، جزالة
علم، وصحة رأي، ومنانة حجة، وقوة بيان، في حلاوة نبرة وعدوبة صوت .
وانه ليثير عواطفك، ولانه ليبيِّت معارف وجهك على التشكُّل طوعا لما أثار
حديثه فيك من عاطفة، أما هو نفسه فساكن وادع، فتصرف عنه وأنت
تكاد تحسب أنك إنما كنت تسمع الحديث من (فونوغراف) متقن بديع يدور
في هيكل إنسان^١

والواقع أن الله تعالى قد وهب هذا الرجل قَصْداً واعتدالاً في كل شيء، فهو معتدل الخلق والتكوين، معتدل الأخلاق والسجايا، معتدل الحركة والسعي، معتدل الحديث والرأي. وهو، في الوقت نفسه، رئيس الحزب الوطني! ومبدؤه المطالبة بمصر والسودان والمليحقات، وجلاء الجيش الإنجليزي عن جميع البلاد، بلا مساومة ولا مفاوضة ولا اتفاق!

الحق أنى لو كنت في موضع حافظ رمضان بك لكنت مهتمّ أشقّ مهمة رجل في العالم. على أن حافظ بك يضطلع بها في غير كلفة ولا عناء! وللعظيم العظام.



ومحمد حافظ رمضان ابن المرحوم حافظ بك رمضان، وكان رجلاً منقطع النظر في العلم المالئ يوم لم يكن لمصرى في هذا الباب خطر، وكانت أعظم المصارف، الأجنبية بالضرورة، ترجع الى رأى حافظ بك في أدق مسائل الفن وأبعدها أثراً.

وأنجب عدة أولاد وأحسن تاديتهم وتعليمهم فخرجوا جميعهم رجالاً ممتازين، فيهم القاضى وفيهم المحامى وفيهم الجندى، وها أنت ذا ترى أحدهم، وهو الذى نعقد له هذا الحديث، في كبار المحامين ورئيس حزب جليل الشأن في البلاد.

نعم، لقد بانت مواهب حافظ من يوم درج لطلب العلم، وما برح يبرع فيه أقرانه حتى أحرز إجازة الحقوق (ليسانس) وأقبل على المحاماة مجتهداً أميناً

حتى تَمَّت كِفَايَتُهُ وَبَعْدَ فِيهَا صَيْتُهُ وَلَمَّا يَزَلْ بَعْدُ فِي فَوْعَةِ الشَّبَابِ ^(١)، يُعِينُهُ فِيهَا
عِلْمُ غَزِيرٍ، وَعَقْلُ شَدِيدٍ، وَبَدِيهَةٌ حَاضِرَةٌ، وَحُجَّةٌ قَاهِرَةٌ، وَبِلَاغَةٌ سَاحِرَةٌ؛
كُلُّ أَوْلَئِكَ فِي صَوْتٍ كَأَنَّمَا تَخْتَلِجُ بِهِ أَوْتَارَ عُودٍ . وَكَذَلِكَ كَانَ حَافِظُ بَكْ
خَطِيْبِيَا رَائِعًا جَلِيلًا .

وَقَدْ اتَّصَلَ مِنْ صَدَرِ أَيَّامِ الشَّبَابِ بِفَقِيدِ الْوَطَنِ الْمَغْفُورِ لَهُ مَصْطَفَى
كَامِلٍ بَاشَا وَظَلَّ مَعَهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَكَانَ شَأْنُهُ كَذَلِكَ مَعَ
الْمَغْفُورِ لَهُ فَرِيدُ بَكْ إِلَى أَنْ شَطَّتْ بِهِ النُّوَى ؛ فَمَا بَرَحَ هُوَ كَذَلِكَ مُوَصُولَ الْأَسْمِ
بِالْحَزْبِ الْوُطَنِيِّ حَتَّى اخْتِيرَ لَهُ رَئِيسًا .

وَمَا يُدْكَرُ لَهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا شَدِيدَ التَّوَّافِي لِأَسَاطِينِ الْأَحْزَابِ
الْأُخْرَى حَتَّى فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانَ السَّيِّدُ وَفِيقَ يَرْمِيهِمُ بِالْمُقَدِّعَاتِ فِي جَرِيدَةِ
الْحَزْبِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ !

وَلَقَدْ يَبْدُو لَكَ حَافِظُ رَمَضَانَ بَكْ كَسُورًا لَا يُحِبُّ أَنْ يُجَسَّمُ نَفْسَهُ مِنْ
الْأَمْرِ جَلِيلًا ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ كَانَ أَنْشَطَ مِنَ الْكُوكَبِ السَّيَّارِ .

وَمِنْ أَعْجَبَ مَا يُؤَثِّرُ لَهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَنَّهُ قَدْ بَدَّلَهُ فِي صَيْفِ الْعَامِ
الْمَاضِي ، إِذْ هُوَ فِي أَوْرَبَا ، أَنْ يَتَسَلَّقَ قِمَّةَ جِبَالِ الْأَلْبِ (Mont Blanc)
وَعَبَثًا يَحَاوِلُ صُدْقَانَهُ أَنْ يَصْرِفُوهُ عَنْ هَذِهِ النِّيَّةِ ؛ وَالْعَبَثُ بِالْعُرُوجِ إِلَى قِمَّةِ الْأَلْبِ
إِنَّمَا هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ بِالْحَيَاةِ نَفْسِهَا . وَيَجْمَعُ حَافِظٌ هِمَّتَهُ وَعِنَادَهُ مَعًا ،
وَيَخْوِضُ مَهَاوِيَ الْمَوْتِ خَوْضًا حَتَّى يَبْلُغَ ذَاتِيَتَهُ ، ثُمَّ يَتَدَلَّى عَنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ
(بِالْإِسْلَامَةِ) وَالْمَوْتِ خَزْيَانٌ يَنْظُرُ ! وَيَظْفَرُ بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ (شَهَادَةِ الْمَعْرَاجِ إِلَى

(١) فَوْعَةُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ . (٢) جَمْعُ صَدِيقٍ كَالْأَصْدِقَاءِ .

قمة الألب) ولم يظفر بها من المقادير إلا قليل ، فكان أيضا حَقَّ (Sport)
رغم ما يُرمَى به من فرط النكسل وشدة الخمول !

وهو شديد الولع بالشطرنج حتى لقد يجلس الى رُقعته خمس ساعات
متواليات لا يلحقه فيها سَجَر ولا يتدخله سَأَم .

ولقد يظل طوال هذه المدة وفم (الشيشة) في فمه ، أو فاغراً فاه فلا تسمع
منه إلا تنغماً يهيمس به أحياناً ، أو (كش مات) في غاية كل دَسْتٍ ينعقد له
فيه الظفر !

وبعدُ فلا أدري أكان حافظ رمضان بك في قرارة نفسه ومطاوى
حسه شاعراً يُحَقِّق في أجواز الخيال أم لا ؟ على أن جلسته الطويلة يُوسِّد
فيها خدّه على كفه مهْدَل الشفة ثابت المحجَّرين في جانب الأفق ، لقد تدلَّك
على أنه شاعر بعيد الخيال ، ولعل هذا المعنى فيه هو الذى يتخطى سائر مواهبه
فيعقد الصلة بينه وبين مبادئ (الحزب الوطنى) !

ومع هذا كله فلا تحيص من أن تقع المشاكل بين حافظ بك وبين نفسه
كلما (زنتته) الحوادث بينه وبين مطالب حزبه . ولكن حافظ بك ، كما أسلفْتُ
عليك ، رجل خراج ولّاج ، لا يُغمُّ عليه مُشْكِل ولا يُعييه أمر جَسَام ، فاذا
حزبه من ذلك شئ عمَد الى حل بسيط سهل معقول مقبول ، وهو أن تُعجله
مسألة (فيحط كتف) على أوروبا معذورا مشيعاً بطيب التمنيات !

أليس هذا حلاً سائغاً معقولاً ؟

وبعدُ فإذا كان التطرُّف في الرأي السياسيّ ضرباً من الشَّعر، فما أعدبَ هذا الشَّعر وما أحوجَ تكافؤَ النَّزعات السياسيَّة إليه ؛ على أنه إذا تجاوز حدَّه ونخرج عن أفقه فقد أصبحَ له في توجيه سياسة البلاد شأنٌ آخر .

ولو كان لي من الأمر شيءٌ لدعوتُ بشركة (حافظ رمضان — عبد الحميد سعيد اخوان) لغيرتها أمرين : إما ترك التغالى في الاستجوابات والعوض على الله ، ولو مؤقتاً ، في الملحقات . وإما أن تتولَّى الوزارة ، وعندها مهلة شهرين لتجيء فيها بالنيل من منبعه إلى مصبه ، والملحقات وملحقات الملحقات . والجلاء الكامل بلا مساومة ، ولامفاوضة ، (وكان) بلا اتفاق ! على شرط أن يؤخذ عليها التعهدات ، بعدم (حططان الكتف) على أوربا وقت الأزمات !!!



على مُفَوِّضِينَا وَقَنَاصِلِنَا فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْعَالَمِ مُوَافَاتِنَا تَلْغَرَايَا بَآخِرَ (مُودَة) !

ابراهيم وجيه باشا

طويل ، ضافي الجسم ، متراحي الأطراف ، تَتَسَّرَحُ العينُ منه في منظر
غير مؤتلف ولا متيسق ، وبعبارة أخرى إن عينك لا تكاد تسقط عليه حتى
تشعر بما بين خلقه وبين (قيافته) من سوء التفاهم ! فهو شديد العناية بهذه
(القيافة) . وهو لا يُعْنَى بشيء من مظاهر الدنيا عنايته بها . وإنه ليَخَيَّلُ الى
أنه يطوي عامة ليله وصَدْرًا من نهاره في مطالعة مجلات (المودة) ونشرات
(الشيك) وكلها سقط فيها على طريف أسرع اليه فتجمل به وتأنق ، وتحلّي
به وتأنق : فمن خواتيم تلمع في الخناصر والبناصر ، من شَتَّى الألوان
في شَتَّى الجواهر . ومن رِباط للرقبة (كراغات) تختار العين في أزرقه وأسوده
وأحمره ، وأبيضه وأخضره وأصفره ؛ حتى كأنما قد من أنوار بُسْتان ، فقيه
من كل زهرة زَوجان ، تجرى كلُّها في مذاهبها حتى تلتقي عند لؤلؤة بيضاء ،
أوزمردة خضراء ، أو ياقوتة حمراء ، فكأن هذا (الدبوس) من تلك الألوان ،
ملتقى العشاق ومجتمع الخُلان . ومن حلة محبوكة ؛ (محدقة) مسبوكة ؛ كأنما
مَوَّه بها جلده تمويها ، فاذا تبدى لك فيها حبيبته عاريا وهو كاس ! — الى حذاء !
وناهيك بهذا الحذاء ! ليس يتخذ الباشا حذاءه من مصر كلها ، ولا من أفريقيا
أجمعها ، ولا من كل ما يدسى من سِاع الغرب الى الشرق ، بل انه يُفَصِّلُ له
تفصيلا من مصنع (lob) الشهير في لندن ، وثمنُ الزوج ، على ما يروى الباشا

نفسه ، تسعة جنهيات انجليزية (طبعا) . أما الحذاء نفسه ، كما شهدناه ، فدقيق لطيف ، رقيق خفيف ، قاس ، على نعومته ، شديد القسوة حتى ليأبى إلا أن يُخرج أسيرته (رجل الباشا) صغيرة دقيقة هيفاء !

فاذا أنت ارتفعت بالنظر الى طرفه الآخر رأيت على رأسه طربوشا طويلا ضيقا أيضا ، على انه ، والله الحمد ، على رأسه منسق مسبوك ! وهو يُميله دائما الى ناحية من رأسه فيصوّر لك من فضل جبينه زاوية لا أدري مقدار حظها من الهيبة أو الجمال !

ولو تمثّلته وقد بعد ما بين كنفيه ، وتقارب ما بين كشحيه ، وما يزال يتقارب في منازلته الى مُستدقّ حداثيه ، لرأيت منه منحروطا معكوسا ، أو على الأصح قعما مكفوعا !

قلت لك في صدر هذا الحديث إن بين خلق وجيه باشا وبين (قيافته) افتراقا وسوء تفاهم ، وأكّر على هذا الآن فأقول لك : انه مع كل هذا التأنيق ، وكل هذا التجميل ، وكل هذه النفقات ، وكل هذه التكاليف لا يزيدك في مرآه على أميرالاي في المعاش !!!



وابراهيم وجيه باشا رجل طيب القلب لا يصدر عن أذى ولا يصدر عنه أذى ؛ متواضع النفس ، متواضع التفكير. لقد أصبح في الواقع وكيلا لوزارة الخارجية في الدولة ، ولكن أدبه وتواضعه لا يطاوعانه قط على الترفع الى هذا المعنى ؛ وانهما ليغضبان حتى من تفكيره في مُقتضيات ذلك المنصب الرفيع !

إنه لرجل متواضعٌ حقا في كل شيء ! ولو أنك ذاخلتَه مهما ذاخلتَه ولا بسته مهما لا بسته ، لا يمكنك أن تُحس منه أى اعتداد بالنفس يشعرك أنه أصبح وكيلا لدائرة ، فضلا عن أنه أصبح وكيلا لوزارة خارجية الدولة نفيسها ! وأيسرُ الدلائل على هذا موقفه العتيد في مجلس النواب يوم ثار حديث (بيوت هوس) وما اقتضى خزينه الدولة من نفقات جسام !

وهو كذلك رجل متواضع الحديث ، لقد يستغرق المجلس بالحديث عن نفسه لا عن مركزه في الحكومة ولا عما يعتري الدولة من مشاكل ومتاعب في جفوب ، ولا مما يراد من فرض امتيازات لإخواننا الشوام أيضا في مصر ، بله المفاوضات المقبلة في تقرير مصير الدولة — بل إنما يتحدث عن المفاوضات المقبلة بينه وبين طاهيه . وإن له لطاها عظيما ، وإن طاهيه لعبقري ؛ يصدع بعبقريته حدود الفن ، أليس الطهاة جميعا يُقرَّبون ، يوم الوليمة الى الضيفان ، (البامية) بعد رأس الطعام (الحمل أو الدندى أو السمك)؟ ولكن طاهيه قَرَّب مرة لضيفانه بعد رأس الطعام صَفْحَة من الفاصوليا الخضراء مباشرة ! . أليس هذا عبقرية تستحق كل إعجاب وإطراء ؟ !!!

وسبحان من أودع كل قلب ما شغله ، وإذا كان قلب وجيه باشا مشغولا بأشياء وأشياء ، فإن قلبه من شؤون الدولة كلَّها هواء .

يهرول في الصغير إذا رآه * وتُعجزه مهمات كبار

وقد نسيتُ أن أذكرك أن للبasha شار بالبقا هو الآخر ، ظريفا ، دائم التشكُّل والتكيف بحسب (آخر مودة) فتراه مرفوعا ومرةً مخفوضا ، وتارة

مفتولا وتارة منقوضا، وأنا مرسلا وأنا (مكويًا)، وحينما مستقيما وحينما ملويا؛
وأسود يوما ويوما أغير، وأصفر طورا وطورا أحمر.

ولا نحب أن نتر الرجل حقه، فقد أحرز إجازة الحقوق (ليسانس)
في غير عسر ولا تأخر في الطلب، ثم دأب إلى مناصب القضاء فرقي في درجها
واحدة بعد واحدة معروفا بالاستقامة والنزاهة والنشاط وعدم الميل مع الهوى،
وزامل ثروت باشا في نشأته كما زامله في بعض المناصب التي تولّاها، وفي النهاية
عين مستشارا في محكمة الاستئناف المختلطة. فكان خير مثال للكفاية
والاستقامة؛ فمستشارا مليكيا. وهنا بدأ القلق يدب إلى حظه من التوفيق
في مناصبه الحكومية!

وإذا كان قد نفض عن القضاء جملةً وقُلد مناصبا سياسيا (وكالة الخارجية)
وبخاصة في العهد الحاضر — عهد المسئوليات الكبرى — فلم يتمكن منه
تمكّنه من منصب القضاء فليس الوزير عليه هو، ولكن على من أخطأهم
فيه التوفيق!



فان لم تَكُ (المرأة) أَبَدَتْ وَسَامَةً * فقد أَبَدَتْ (المرأة) جَبْهَةً ضَعِيفَةً

حافظ ابراهيم بك

وجاءت نوبة صديقي، حافظ في (المرأة) ولم تُغن عني المطاولة ولا كثرة
الدفاع، كذلك حتم أصحاب «السياسة الأسبوعية» وبذلك جزم القضاء :
فإنك كالليل الذي هو مُدرِك * وإن خلت أن المتأني عنك وإسع

إذن سأجلو حافظا في هذه « المرأة » وأرمي فيه بالقول، وإذن سأدخل
في الورطة وتحقق على الكلمة في كل حال ! ويح نفسي من عنت أهل العنت
من القراء، فإنني إن قلت فيه خيرا قالوا : شهادة صديق لصديق فهي متهمة
مُهَسرة، وإن قلت شرا قالوا : ما أنكره للود وما أكفره ! .

وما لي لا أعود من ألسن هؤلاء بالحق، فالحق أجدي من مصانعة هؤلاء .
وعلى هذا فإني سأطلق كلمة الحق في صديق حافظ ، وأعود بالله تعالى أن
يلحقني فيه قول ذلك الحكيم : «إن قول الحق لم يدع لي صديقا» ولا تنس
بعد هذا ياسيدي القارئ مبلغ ما يضحى به الكاتب المسكين في سبيل رسالة
يؤدبها قائمه اليك لتأهوها بها خمس دقائق أو ستا، وهو لا يطمع منك في أكثر
من أن تقصص في حكك، وتترفق في نقدك وشتك، والتضحية في هذه
المرّة ليست بجسم يُتعَب ، ولا بمال يُعَصَب ، ولا بقلم يُغَاب ، ولا بسب
يُجَلَب ، إنما هي باستهداف ودّ دام إحدى وعشرين سنة للجلجلة بلّة الزوال ؛

وهي كانت مَتَنَ الصَّبَا، وهي كانت نَضْرَةَ العمر، وهي هي الذكري الباقية
لحللوا الحياة لمن أبرمه مُرُّ الحياة !

ما لي قد غَشِينِي من هذه العواطف المحزونة الواهية، حين عَرَضَ لِي أَسْمُ
حافظ ما لم يَغَشَّنِي قَبْلُ لِأَسْمِ إِنْسَانٍ؟ وفيهِمْ كُلُّ هَذَا وَلَعَلِّي لَا أُصِيبُ فِي صَدِيقِي
إِلَّا خَيْرًا ! حَقًّا إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَكُونَ الْيَوْمَ مَرِيضًا وَأَنْ الْأَمْرُ كُلَّهُ مِنْ لَوْنَةِ
الْأَعْصَابِ . فَإِنْ كُنْتُ مَعَاقِي صَادِقِ الْوَزْنِ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَدِيقِي
حِينَ تَقَعُ لَهُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ مَعَاقِي مَتَرِنِ الْأَعْصَابِ .



حافظ إبراهيم شاعر، فهو يُحِبُّ الْجَمَالَ وَيَجْتَمِعُ لَهُ، وَيَكْرَهُ الْقَبِيحَ وَيَنْتَعِي
عَلَى أَهْلِهِ، يَمَازِيهِ بِذَلِكَ مَجَابِهَةٌ لَا يَتَّقِي فِي الْقَوْلِ وَلَا يَتَحَرَّفُ؛ وَمَا إِنْ طَلَعَ عَلَيْهِ
فَتَى دَمِيمٌ الْخَلْقِ غَيْرِ مَسْتَوٍ مَعَارِفِ الْوَجْهِ إِلَّا قَالَ لَهُ: يَا فَتَى، لَيْسَ الْوِزْرُ عَلَيْكَ
بَلْ عَلَى أَبْيِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُوَدِّ مَهْرًا ! وَإِذَا اطَّردتْ نَظْرِيَّةُ حَافِظِ فَلَا شَكَّ فِي أَنَّ
الْمَرْحُومَ وَالِدَهُ تَزَوَّجَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فَلَمْ «يُدْفَعْ» مَهْرًا بَلْ هُوَ الَّذِي أَخَذَ
«الدَّوْطَةَ» !

جَهْمُ الصَّوْتِ، جَهْمُ الْخَلْقِ، جَهْمُ الْجَسَمِ، كَأَنَّمَا قُدَّ مِنْ صَخْرَةٍ فِي فَلَائِ
مَوْحِشَةٍ، ثُمَّ فُكِّرَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا فَكَانَ «وَالسَّلَامُ» !
أَمَّا مَا يُدْعَى فَهُوَ فَكَأَنَّمَا شُتِّ بَعْدَ الْخَلْقِ شَقَاءً، وَأَمَّا عَيْنَاهُ فَكَأَنَّمَا دُقَّتَا بِمِجْمَارَيْنِ
دَقًّا . وَأَمَّا لَوْنُ بَشَرَتِهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا عُهِدَ بِهِ إِلَى «نَقَاشٍ» مَبْتَدِئٍ
تَشَابَهَتْ عَلَيْهِ الْأَصْبَاغُ وَالْأَلْوَانُ فَدَافَ أَصْفَرَهَا فِي أَخْضَرِهَا فِي أَبْيَضِهَا

في «بنفسجها» ، نخرج مزجاً من هذا كله لا يرتبط من واحد بسبب ، ولا يتصل بنسب . وإنك لو نضوت عنه ثيابه وألبسته دراعة من دونها سراويل ، وأفرغت عليه من فوقها جبة ضافية ، وتوجته بعامة عظيمة متخالفة الطيات ، خلته من قورك دهقاناً من دهاقين الفرس الأقدمين ! فإذا جردته كله وأطلقته في البر حسيته فيلاً ، أو أرسلته في البحر ظننته درفيلاً ! ... ولكن ! ... ولكن آ كشف بعد هذا عن نفسه التي يحتويها كل ذلك ، فلا والله ما النور بعد الظلام ، ولا العافية بعد السقام ؛ ولا الغنى بعد البؤس ، ولا إدراك المنى بعد طول اليأس ؛ بأشهى اليك ، ولا أدخل للسرور عليك من هذا حافظ ابراهيم !

خفيف الظل ، عذب الروح ، حلوا الحديث ، حاضر البديهة ، رائع النكتة ، بديع المحاضرة ، إذا كتبت لك يوماً أن تشهد مجلسه أخذك عن نفسك حتى ليخيل اليك أنك في بستان تعطف جداوله ، وهتفت على أغصانه بلاليله ، وأشرق نرجسه وتألّق ورده ، فأذكراك طلعة الحب : تانك عيناه وهذا خده ! وتنفس فيه النسيم بسحر هاروت ، فأعجب لمن ينشره هذا انه يم كيف يموت ! والبدر في ملكه بين المجرة والجوزاء ، يخلع على الروض حلّة فضية بيضاء ، فلا تدري أأمست السماء في الروض ، أم أمسى الروض في السماء ؟ .

ولم أرقط رجلاً أسرع منه حفظاً ولا أثبت حافظه ؛ ولقد تقع له المقالة الطويلة أو القصيدة الضافية فترى نظره يثب فيها وثبا حتى يأتي على غايتها ، وإذا هو قد استظهر أكثر جملها ، أو أبياتها إن كانت قصيداً ، وإذا هي ثابتة

على قلبه على تطاؤل السنين ، كذلك لم أرقط رجلا اجتمع له من متخير القول ومصطفى الكلام مُرسلا ومقفى مثل ما آجتمع لحافظ ابراهيم ، فكان حقا له من اسمه أوفر نصيب . واذا كنت ممن يجرى فى صناعة الكلام على عرق وهى لك أن يحاضرک حافظ فى الأدب لصبّ على سمعك عُصارة الشعر العربى وأبدع ما أنتصحت به القرائح من عهد امرئ القيس الى الآن . ويمكنك أن تعد بحق حافظا أجمع وأكفى كتاب لمخير الشعر العربى عُرف الى اليوم ، وليتهم ، إذ يُشرف على السن ، بدّل إحالته على المعاش يحيلونه على أحد (دواليب) القسم الأدبى فى دار الكتب ، إذن لعصموا عليها ذخيرة هيات أن تعوّض على وجه الزمان .

واذا أردت أن تعرف لون شعره والى أى وادٍ من أودية الكلام يناسب ، فارجع الى أكثر ما يهتف به ويردده من شعر من قبله من الشعراء ، وإنه فى هذا الباب ليؤمن قبل كل شئ بالصنعة والديباجة ونسج الكلام ، وما بعد هذا عنده ففضل . وهو يرى ، ولقد يرى معه كثير ، أن جلال الشعر وبهاءه ليسا فى التعلق بدقائق المعانى وإن ترايلت من دونها الالفاظ ، وأن أدق المعانى وأجلّها لقد تقع للدهماء فى حوارهم ومنازع كلامهم ؛ أما إشراق الديباجة وفصاحة القول وتلاحم النسج ورصانة القافية فذلك الشعر . أليس يهرك ويروعك ويُسبغ فيك كلّ الطرب قول البحرى مثلا :

ذاك وادى الأراك فاحس قليلا مقصرا فى ملامة أو مطيلا
لم يكن يومنا طويلا بنما ن ولكن كان البكاء طويلا

وقوله :

وقفاً بالعقيق نطرح ثقلاً * من دمويج بوقفة في العقيق.

وقول الشاعر :

يا ليت ماء الفرات يُخبرنا * أين تولّت بأهلها السفن.

وقول الشاعر العربي :

فسائل بنى جرّيم اذا ما لقيتهم * وسعدا اذا حجّت عليك بنو سعد
فإن يُخبروك الحق عني تجدهم * يقولون أبلّ صاحب الفرس الورّد

وغير هذا من رائع الشعر ما لا يتناوله الحصر .

وبعد ، فأى معنى فى مثل هذا يرتفع على ما تبدّل به العامة فى أحاديثهم وأسماءهم وفنون مناقلاتهم ! إنما خطره كله فى لطف الصياغة وشدة القول وقوة الأسلوب ، ولو قد ذهبت تؤدّى بلغة أخرى أخرّ مانظم البحرى وأبو تمام وأضرأبهما من أعيان الشعراء ماخرجت من ذاك بجيل ، بل لو أنك تعمّدت أبلغ ما قالوا فنقصت غزله ونثرت نظمه ما عدّا أن يكون كلاماً من أوسط ما اعتاده الناس من الكلام !

هذا رأى حافظ فى الشعر ، وتلك أيضاً صورة من شعره ! مشرق الديباجة جزل اللفظ ، صافي القول ، محكم النسيج ، رصين القافية ، ترى معناه فى ظاهر لفظه ، فإذا أقبل عليك يُنشدك من شعره أبصرت البيت يستشرف وحده للقافية استشرافاً حتى لتقبض عليها بذهنك قبل أن ينطق بها حافظ إبراهيم .

وحافظ، كما أسلفتُ عليك مؤمن كلَّ الإيمان بالصنعة، ولقد يَسْنَحُ له المعنى الدقيق فيحاول أن يُشكِّه بالقريض، فإن أصابه في غير قَلَق ولا إعنات للفظ أو إخلال بقوة النظم، وإلا صَرَفَ لغيره وجه القريض؛ ولربما أصاب المعنى الرفيع فيسره للنظم تيسيرا حتى يخيل لك، اذ نلتوه، أنك في كلام من جنس سائر الكلام ! .

وهو، كما حدثتُك، حاضر البديهة رائع «النكتة» يتعلق فيها بأدق المعاني في جميع فنون القول؛ فلا يحتويه مجلس إلا رأيتَه يَتَنَزَّى تَنَزُّيا من ضحك ومن طرب ومن إعجاب . وهو كذلك شديد الفطنة حلَّو الملاحظة لا يكاد يَعْرِضُ لسمعه أو لبصره شيء إلا وَجَّهَ عليه رأيا طريفا يصوغه في «نكتة» عجيبة قد تستقر على سطوح الأشياء، وأحيانا تتغلغل إلى الصميم حتى تتكشف الأيام منها لآعن طُرْفَةٍ متطَرِّفٍ ولكن عن رأى حكيم ! وهو لا يتحاشى في تطرفه ولا يتحجج، فتراه يقتحِم عليك بِنَدْرِهِ كلَّ مَدَاخِلِك أُنَّى سَنَحَتْ له اقْتِحَامًا، فيُصِيبُ من خَلْقِكَ ومن ثيابك ومن أثاث بيتك ومن طعامك ؛ على أنه في كل هذا مُرْضِيكَ ومُؤْنِسكَ وبَاسِطُ أسَاوِيرِ وَجْهِكَ إن لم يُفَرِّجْ بالضحك من ثيابك، فأما اذا كنت رجلا ضيق العطن مُتَزَمَّتِ النفس فلا خير لك في مجلس حافظ إبراهيم .

وهو أجود من الريح المُرسَلَةِ، ولو أنه أدخِرَ قِسْطًا مما أصابت يده من الأموال لكان اليوم من أهل التَّراء، على أنه مافقٍ طَوَالَ أيامه يشكو البؤس حتى اذا طالت يده الألف جُنَّ جُنُونُهُ أو ينفقها في يوم إن استطاع .

فإذا آسْتَغْلَقْتَ عليه أحيانا وجوهُ السبيل لِإِتْلَافِ الأموال عَدَ هذا أيضا من
معا كسّة الأقدار ! ولعل هذا من أنه نَصِيحَتِ شاعِرِيته في باب (شكوى
الزمان) وقال فيه ما لم يتعلّق بغيره شاعر، فهو ما يَبْرَحُ يطلب البؤس طالبا
ويتفقّدُه تفقّدا إيثارا لتجويد الصنعة والتّبريز في صياغة الكلام . وتلك دعوة
كانت للرحوم الشيخ محمد عبده أحسب حافظا يحقّقها بيده إذا قَصَّرت
في تحقيقها الأيام . وإنه لفنّان (Artiste) حقا، وإن فيه لكلّ أخلاق الفنّانين :
تولّاه بالطعن من جميع أقطاره، فقد يسامحك ويتراخى بالصفح عنك ؛ أما أن
تتولّى فنّه وتسلّك بالطعن صنعته، فذلك الكسر الذي لا يُجبر، وذلك الذنب
الذي لا يُغفر ؛ وذلك مُثَارِ الدمع ما يزال هاميا، وذلك مُتَزَيّ الجرح ما يفثأ
على الزمان داميا .

والعجب أن حافظا نفسه ضيق العَظَن قليل الصبر سريع الغضب،
وياويل الأرض منه والسماء إذا تعجّل أمرا فألَبِثَ دونه دقيقة واحدة، إذن
لهاج هياج الصبيّ فما يُجْدِي فيه التصبير ولا التعليل . وما أبدعَ غضبته وما أحلاها
ساعة يَهْمُ بركوب مركبة في الطريق فيرى الخيل قد خُلِعَت عنها أَرْسَانُها ،
وهناك تسمع منه ، وهو يكاد يُمَيِّز من الغيظ ، أبدعَ النكات وأدقّها ،
وقد عَجَلت إليه الشيخوخة قبل السنّ ، وضربته أعراض السبعين اذ هو لم
يُدْرَف كثيرا على الخمسين ، فغاض من أنسه غير قليل ، وشُغِلَ بالمرض أو بتوهم
المرض ، فما يالقالك إلا أَبْثَكَ عِلَّة طارئة وطالعك بشكّاة جديدة، وتقسّم أوهامه
مراجعة الأطباء والمتطبّين ، وترديد النظر في كتب الصحة والأقرباذين ،

فما سمع بعله إلا أحس أعراضها ، ولا وقع على عقارٍ من العقاقير إلا اتخذته
وتداوى به !

ومن أظرف نوادره أن صديقا له لقيه مرة في الطريق وهو متقبض
النفس متربّد الوجه فسأله مابه ، فقال له : (إن المصّران الأعور عندى
ملتهب) فقال له صاحبه : وبماذا تشعّر ؟ فقال : أشعرُ بوجع شديد هاهنا ،
وأشار بيده الى جنبه الأيسر ، فقال له : (إن المصّران الأعور) إنما يكون
في الجنب الأيمن لا الأيسر ! فأجابه حافظ من فوره : (يمكن أكون أنا
ياسيدى أعور شمال) !!!



ولا أحسب شاعرا يجيد الإنشاد كما يجيده حافظ ، وإن له لصوتا جهوري
نحما رائع المقاطع ، فاذا هو وقّف ينشد الجماهير هزّها هزّا ورفع بالترتيل حظّ
الكلام درجات على درجات .

ولانس لحافظ يدا جليّة على اللغة العربية بما نظم وما نثر إنشاءً وترجمةً ،
فلقد طالم استخرج من مخفّوها صيغا طريفة بليغة أدّت كثيرا من الأسباب
الدائرة بين الناس مما تتحرّك معانيه في الأنفس ويُعي أدأؤه على الأقلام .

وحافظ ابراهيم ، ولا شك ، من مفانر هذا العصر ومن مباهجه معا .
أسأل الله أن يسطّ في عمره وأن يرزقه العافية ، على أن يقتنع هو أنه
في عافية !

وبعد، فاذا كنت يا صديق قد وترتكَ بعضَ حقك ولم أعرض جميع
مزاياك فلكيلا أجعل لأحد سبيلا الى الاتهام ؛ واذا ظن بي شائئ أنى
لم أنسقط كل هَنَاتِكَ ، إن كانت لك هَنَاتٌ أخرى ، فما كان الودَّ ليرينى إلا الخيرَ
في أصدقائى ؛ على أننى أعتذر اليك فى الأولى ؛ وأعتذر الى القراء فى الثانية ،
وأستغفر الله فى الحالين ، وأسأله تعالى أن يصرف عني مِحْنَةَ الكتابة ويتوب
على من فن الكلام .



وَهُمَا فِي الْعَلَا وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ * وَهُمْ أَتْرَابُهَا فِي اللَّهِ وَاللَّعِبِ

هـدى هانم شعراوى

لقد تعرف أن العرب إنما أخذوا علم المنطق عن اليونان وعربوه تعريبا، وودّونوا فيه الكتب، وأشاعوا البحوث، وضربوا الأمثلة؛ على أنهم فى كل ذلك لم يخرجوا عن الأفق الذى رسمه اليونان حداً للمنطق تدور فيه قضاياها، وتكثف أقيسته فى أشكاله المقسومة؛ وكل أولئك مرّده عندهم الى العقل، والى العقل وحده، فأما القضايا الوجدانية، وأما الأقيسة الشعرية، فلا اعتبار لها ولا اعتداد بها فى معرض الاحتجاج .

وبهذا أضفى المنطق شيئا بالريضة إن لم يكن شعبة منها . وأما الفلسفة الحديثة، فلسفة الغرب، فقد تبسّطت قواعدها حتى تناولت تجوى القلب وحديث الوجدان ! وأدخلت هذا فى جملة الأقيسة التى تُعتبر نتائجها؛ ولقد يكون هذا من الحق، فإن شعور النفس أحيانا لا يقل صوابا عن حساب الذهن، بل لقد يسبق الوجدان أحيانا ويستشرف الى ما لا يهتدى اليه العقل، وينقطع من دونه جهد التفكير، فليس عدلا وليس حقا أن يُسقط الإنسان هذه الأداة القوية النافذة من أسباب تعرفه وأستكناهه لحقائق الأشياء ! .

على أن هذا أيضا لا يسلم من الخطأ، فكثيرا ما يكون موقعُ الرأى فى الوجدان أثرا من آثار الهوى، أو حكم البيئة، أو الظرف الخاص، أو طول

الاعتیاد، أو نحو ذلك مما نتج به نزعات النفس دون أن يكون للحقائق في نفسها أى اعتبار .

وإنما سقت هذه المقدمة الطويلة، المملة أيضا، لأقزر أُنْى، في مسألة المرأة رجل رجعى، لا أردُّ هذا الى قياس منطق عقلى، على الطراز القديم، إنما مرّد الأمر كله الى قياس وجدانى على الطراز الحديث . نعم لا أدعى أنى حرّكت في الأمر عقلى قَائِبَتَ لى، بعد ترتيب الأقيسة المنطقية، أن « نهضة المرأة المصرية » غير ميسورة أو غير صالحة، إنما هى نزوة الوجدان لا تلهمنى من هذا إلا أسى وتطيرا !



وأهاب بى صديق : « فيم تقصّر مراياك على الرجال وفي النساء من هنّ افضل من كثير؟ » وأول من تنظّرت لى من سيدات العصر، من غير تردد، هدى هانم شعراوى، ولكن ! ... سرعان ما مثّل لى تداعى المعانى أيضا مسألة « النهضة النسوية » إذن سأكتب فى السيدة هدى هانم شعراوى، وإذن سأعيرض، برغى، لحديث « النهضة النسوية »

على أنى لم أر السيدة النبيلة، ولا بد لى قبل أن أريها مرأتى أن أراها، ولا بد لى قبل أن أتحدّث عنها أن أتحدّث اليها، فكيف السبيل الى كل ذلك ؟ ... ذلك أن أتشفّع اليها بصديق لأسألها فى مسألة خيرية .

ولقد تفضلت السيدة الكريمة وأذنت لى فى التمثّل لها فى قصرها الفخم القائم بإزاء دار الآثار، أو القائمة بإزائه دار الآثار .

مَضَيْتِ الى الموعد ورأسى يزدحم بجلائل الأفكار عن هذه السيدة النبيلة.
 المزدحم تاريخها بجلائل الأعمال . ولقد ثار المصريون في صدر سنة ١٩١٩
 يطلبون نصيبهم في الحياة ، وأبَت كرائم السيدات أن يتخلفن في الخدور فنَقَرْنَ ،
 في خفة الى الجهاد ، وفي طليعتن كانت السيدة هدى هانم شعراوى ؛ ولقد يُسَيِّغُ
 الرجل الرجعى « مثلى » هذا لأتنا كنا في جهاد . وهل خلا جهاد من أثر
 للسيدات عظيم ؟ وهادتنا الانجليز وهادناهم ، وسكت المدفع وتكلمت السياسة ،
 وآبَت أكثر العقائل الى خدورهن تاركات ذاك للرجال ؛ فذلك ، في رأي ،
 من شأن الرجال وحدهم . وأبَت هدى هانم ، في سرب من ربات المجال ،
 إلا أن تجول في السياسة مجالا . ولعله عَزَّ على بنت سلطان باشا الذى مثَّل
 خديو مصر في البلاد يوم حاصر العربابيون الخديو في الاسكندرية وكَفُّوه
 عن ولاية الحكم ، والذى جَرَّدَ عليه بعض الثائرين السيف فلم يَتَّعِثْ عن
 التشبُّث بما اعتقده منجاة للوطن ؛ ولعله عَزَّ على زوجة على شعراوى باشا
 الذى كان ثالث ثلاثة خاضوا ، في يوم الرُّوع ، مدافع السلطنة وأسِنَّتها ،
 وراحوا يقولون لعميدها في شتم وقوة : إن مصر تريد حريتها لأنها لا تطيق
 حياة الرِّق ، فاذا كنتم ترومون أن تتصلوا بها فلتكن صِلَةً الأَكْفَاء بالأَكْفَاء
 لا السادة بالعبيد - لعله عَزَّ على هذه السيدة التى خاضت المجد من كل أطرافه
 أن تسكن أو تباغ مصر غاية منها من الحرية والاستقلال .

على أنها ما لبثت في ميدان السياسة أن فطنت الى أن لها مهمة أخرى
 لو حرَّرت لها مواهبها العظيمة ، لكان ذلك أَرَدَّ على بنى وطنها ، بل على

قضية هذا الوطن . ولقد اجتمع للسيدة هدى هانم ما لم يجتمع لكثيرات في هذه البلاد، اجتمع لها الحسب ، والغنى ، والذكاء ، والنشاط ، والغيرة الشديدة على النفع العام .

وَنُشَاءُ الله لهدى هانم ، أو على الصحيح ، شاء لحظ مصر أن تُقِيلَ هذه السيدة بكل مواهبها على ما هو أخلق بها ، فرأت أن المرأة المصرية مظلومة فحق أن تُنَصَفَ ، محرومة ، فحق أن تُعْطَى ، جاهلة ، فحق أن تُتَعَلَّمَ ، وأنفقت ما شاء الله من مالها وجاهاها ومسايعها حتى شَرَعَتِ الحكومة قانونا لِيَسَنَّ زواج البنات ، وحتى فَرَضَت من عنايتها نصيبا عظيما لتعليم البنات ، وما زالت السيدة تلحُّ بمسايعها على الحكومة في شأن المرأة ، وما زالت عناية الحكومة تُنَسِّعُ لهذا الإلحاح الكريم .

أما من جهتها هي فقد راحت تعمل على تهذيب المرأة المصرية وتعليمها ورفع شأنها بكل ما دخل في إمكانها من الذرائع : فمن إنشاء مدرسة ، الى إقامة ملجأ ، الى تشييد مشغل ، الى نشر مجلة ، الى إلقاء المحاضرات العامة في شؤون التربية والتعليم .

ولم تَقْنَعْ بكل ذلك فأقامت مصنعا للخزف تُحْيِي به صناعة وطنية قديمة من جهة ، وتُعَصِّم به من جهة أخرى طائفة كبيرة من الفتيان المتبطِّلين من التشرد والاطِّراد في طرق الشر والإجرام . ويضيق العمل في داخل البلاد عن مساحة همتها فتهاجر كل عام الى ديار الغرب لتُهَيِّفَ باسم مصر وتُعَلِّي من قَدْرِ المرأة المصرية هناك .

وأظن السيدة هدى هانم شعراوى أقول سيدة مصرية مثلت بنات جنسها في بلاد الغرب ، فقد وفّدت على روما من بضع سنين وانتظمت عضوا في المؤتمر النسوى الذى عُقد هناك ، وألقت بين أهله خطابا نفيسا دلّ القوم على أنهم كانوا في عقيدتهم في السيدة المصرية جدّ مخطئين .

ووفّدت صيف هذا العام على باريس ودخلت عضوا تنوب عن نساء مصر في المؤتمر النسوى الذى حضره رئيس الوزارة ووزير المعارف كلاهما . ومما يذكّر لها بالإعجاب أنها لاحظت أنه قد رُفعت في قاعة المؤتمر أعلامُ الدول التى ينتمى إليها الأعضاء جميعا ما خلا مصر ، فلم تتوان عن الجهر بما لاحظت ، فاعتذر إليها القائمون بشأن المؤتمر وأكدوا لها جُهدَ قواهم أن الأمر لا يمكن أن يُصرف إلا على مجرد السهو ، وبادروا الى العلم المصرى فرفعوه بين التحية والتصفيق ؛ ولما انتُخب أعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية كان بينهم ، ولا غرو ، ممثلة نساء مصر هدى هانم شعراوى .

كل هذه الأفكار كانت تساورنى في طريقى الى قصر السيدة هدى هانم شعراوى ، إلا أننى ، كما أسلفت إليك ، في مسألة « النهضة النسوية » رجعى . وإذا كنت أخاف شيئا من وفادتى تلك ، فهو أن تُغيّر السيدة هدى هانم رأيى في المرأة ، والمرأة المصرية على وجه الخصوص !

وأنت اذا جدّدت في التفكير انتهيت الى أن أكثر ما يستريح اليه الناس وما يحتّمون عليه قلوبهم في معاقِد آرائهم مدينٌ لهذا النوع من الأنانية في الإنسان ؛ وإن المرء ليؤمن بالرأى حتى ليقا تل في سبيله ويبدل مهجته من

دونه ، وما كان هذا الرأى نتيجة منطق سليم ولا وليد تفكير صحيح . بل لقد يكون أثرا من آثار التقليد أو طول الاعتياد أو حكم الظرف الخاص أو غير ذلك من مختلف الأسباب . وإن الزمن ليعقّد بين المرء ورأيه إنفاً ومودةً ، وتلك العلة في نفورك من كل من يكشف لك عن مواقع الخطأ في رأيك ويحاول أن يُرجّحك عنه الى ما ربما كان الصواب . ولقد لمس المتنبي هذا المعنى في قوله :

خُلِقْتُ أَوْفَا لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا * لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعَ الْقَلْبِ بِأَيِّهَا !



وبلغت قصر السيدة القنم وقادنى الخادم الى غرفة صنعت على (الطراز العربى) وقد أفتنت اليد الصّناع فى سقّفها وجدرانها ومحاريبها وأثاثها وثريّاتها وصورها وتمأويلها حتى خُيِّلَ الى أننى إتما أعيش فى القرن الرابع عشر لا العشرين . وجاء شاب من قرابة السيدة فدعانى وساربنى نخضنا بهواً عظيماً هائلاً يتخيّر الطرف فى بديع أثاثه ورائعة تحفّه ، حتى أقصّى بى الى غرفة مبسّوطة الجنبات أُنْتُت بفراش من طراز لويس السادس عشر ، وزُينت جدرانها بغوّالى الطّرف ، كما زينت جدرها بأبدع ما جالت به أيدى المصوِّرين . والواقع أن عينك لا تقع ، أنى دارت ، إلا على مظهر من مظاهر الغنى ؛ إلا أن ذهرك سرعان ما يستغرقه شعورك بما فى ذلك النظام من دقة ذوق وروعة جمال . وهناك استقبلتنى السيدة النّيلة مرّجة وأومات الى كرسى كبير (فوتيل) جلست وجلست .

ولست أعالج من وصف سيدة ما أعالج من وصف الرجال في هذه «المرأة» ؛
إلا أننى لا أكتُم القارىء أن هذه السيدة تُحيط بها هالة من جلال تحسّر النظر
عن تصفّح ما في معارف وجهها من قسامة وجمال ؛ وذلك البريق في عينيها
قل أن يقع على محدثها بل أنها لتشرّد به في ناحية أخرى في فتور طرف ،
على أنك لو استطعت أن «تثّسل» منه في غفلة منها نظرة واحدة أقنعتك تمام
الإقناع بأن نظرها إنما يتجاوز المحيط الذى أتما فيه بعبود ، والواقع أنها سيدة
مفكرة ؛ والظاهر أنها لا تتقطع عن تفكير عميق . محتشمة الثوب ، محتشمة
المجلس ، محتشمة القول ، محتشمة الابتسام .

وانتهى دور التحية ولم يبق لي بد من الكلام . فقلت لها : ياستى ، إنما جئت
لأسألك في بعض ما تعانيين من الأعمال ؛ فأجابتنى في دهشة قد تتطوى على
شئ من الإنكار :

— لقد أخبروني ياسيدى أنك آتٍ لتسألني في مسألة خيرية !

— وهل ثم خير أبلغ وأجمع مما تعالجن ياسيدتى من وجوه الأعمال ؟

— تفضل فسل عما شئت .

— قبل كل شئ لا أكتّمك أننى رجل لا أقول بالسفور ولا أذهب

مذهب السفوريين ؛ بل إنى أعترف بأكثر من هذا ! أعترف بأننى في مسألة
«التهمة النسوية» ما زلت رجعيًا :

— رجعي ! ولماذا ؟ وما حجّتك على هذا الخلاف لجماعة السفوريين ؟

— لست أتكلف لهذا حجة ، بل لعله رأى طبيعتى عاليه البيئة بحكم

نشأتى في بيت محافظ .

وهنا ابْتَسَمَت السيدة النبيلة ودارت ببصرها دورة سريعة وقالت في بطن
يَتَدَاخَلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْعَجَبِ : وأين نَشَأْتُ أنا ؟ ! ... وكأنها بهذه الكلمة
الصغيرة تقول لى بأبلغ البيان : وهل نسيتَ أنى نَشَأْتُ فى أكبر بيت
فى الصعيد له كُلُّ تقاليدهِ الماثورة ، وعاداتهِ القاسية الموروثة ؟ فأجبتُها من
فُورى ، وهذا ياسيدتى مما يَزِيدُ فى الْعَجَبِ !

— ليس الأمرُ بِدُعا كما تظن ، فان أمة تريد أن تحيا وأن تأخذ مكانها
تحت الشمس إنما تعبَت بعقلها وكرامة تفكيرها اذا ظنَّت أنها بالغة من
ذلك ونصفها أشل ! وكيف يرقى الرجال اذا لم يرقَ النساء ؟ وكيف ينتظم حال
بيت تديره امرأةٌ جاهلة لا رأى لها فى الحياة ولا كرامة ولا خَطر ؟ وكيف
تريد للأمة رجالا صالحين أكفء للحياة المحميدة القوية اذا كان يتولاهم فى بدء
نشأتهم وَيَطْبَعُ تفكيرهم أمهاتٌ جاهلاتٌ وضيعاتُ التفكير ؟

— يلاحظ ياسيدتى أنه فى هذا الوقت الذى قويت فيه الدعوة الى
السفور خرجت كثيراتٌ من السيدات عن آفاقهن سواء فى ملبسهن وفى غير
الملبس من مطالب الحياة ! . وتُرى هل هناك صِلَة بين الأمرين ؟

— إن دعوة السفور ما كانت يوما لتنطوى على هذا التبرُّج وهذا السلوك
الذى تُشكره وتُشكره كلنا معك ، فاذا ظن ظان أن من السفور ما تفعل بعض
سيداتنا ، مع كثير من الأسف ، من الابتذال فى مجالس الرجال والرقص ونحوه
فهو فى أشدّ الضلال . واذا كان بعض السيدات قد تطرّفن فى سلوكهن
فما كان ذلك إلا نتيجة « التطور » الاجتماعى ، ونحن اذا دعونا الى السفور وعملنا

بجهدا على تحقيقه فانما نفعل ذلك لنكبح جماح هذا «التطور» ونسير بالمرأة الشرقية فى الطريق النافع المأمون .

— وإنك ياسيدتى لتجاهدين كثيرا فى أعمال البر، فهل لك أن تُصوّرى لى شعورك كلما أدركت من عملك نجاحا ؟ .

— إننى اذا كان قُدر لى فى مساعى نجاح كما تقول فان شعورى مشغولُ عنه بمعالجة ما لم يتمّ بعد له النجاح . ثم قالت فى تواضع عظيم : إن خُطانا مازالت رِطاءً وخُطى الأيام سِراع !

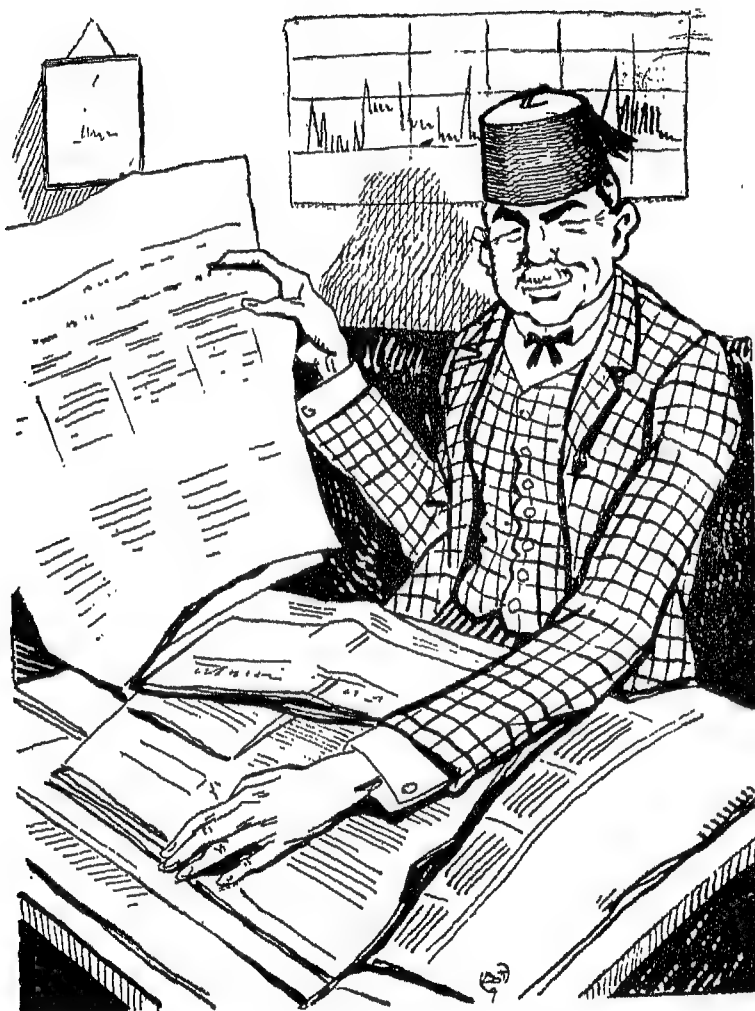
— لعلك ياسيدتى لا تزين تمام الوزن أثر المجهود العظيم الذى بذلته على الأيام لأن أقل الناس إدراكا لثَمَوِ الطفل هما أبواه .

— على كل حال فانه ما زال بيننا وبين الغاية التى نطلبها بون بعيد، فاذا لم نُدرِكها نحن رجونا أن يُدرِكها من بعدنا من الأجيال .



وهنا استأذنتها داعيا لها بالصحة وطول العمر؛ وانصرفت لا أدرى أبقىّت على رأيى «الرجعى» فى النساء أم لا ؟ إلا أننى رأيتُ لسانى يردد قول المتنبي :

ولو كان النساء كمن رأينا * لفُضِّلَت النساء على الرجال



من ذخائر الأمم

اسماعيل صدق باشا

ما رأيتُ رجلاً افترقت فيه أهواءُ الناس كما افترقت في اسماعيل باشا صدق :
 فلقد أحبه قوم أشدَّ الحب ، وأبغضه قوم أشدَّ البغض ، وبقي فيه آخرون
 متحيرى المذاهب مترجحي الآراء . وليس يشغل الناس بكل هذا إلا عظيم .
 ولقد رزقه الله قصدا في كل ضواحي خلقه : فهو ليس بالطويل
 ولا بالقصير ، ولا بالبدن ولا بالهزيل ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ،
 له وجه لطيف مستدير ، وفم حلو تفرق عليه ابتسامة حلوة ، يحدثك في هواة
 وظرف حتى لترى فيه خفرك الكاعب وارتياح الغلام ، ولا تجده ، مهما لجَّ بكما
 الحديث وتعلق بما يحفز ويشير ، إلا وادع النفس مطمئن القول عذب الصوت ،
 يقاويلك في الجلي كما يقاويلك في أنفه الشئون حتى لتحسب هذا الهيكل الذي
 يجتمع عليه نظرك لا يُجِنُّ إلا طاقات من الزهر ، أو قطعاً من نسيم السحر ،
 فلا غضب ولا مزاح ولا ضغن ولا وجد ولا غريزة من تلك الغرائز التي
 تتفجر في صدور جميع الأحياء ! ولكن ارفع بصرك الى عينيه تجد هناك
 كل ما يصول به اللسان ، وتتزي به في الحادثات جوارح الانسان ! ...
 ولصدق باشا عينا حديدتان ، وهما مستديرتان في غير سعة ، وقد ركَ الله
 فيهما مظاهر كل ما في الرجل من ألوان العواطف ، فاذا استرسلت نفسك
 منه الى مثل صفاء الغدير ، فاحذر فلعلك بين برائن ليث خادر ! .

ولِإِصْدَقِي بَاشَا صَلْعَةً شَدِيدَةً الْوُضُوحَ تَتَحَدَّرُ إِلَى مَوْثَرٍ نَافِوْرِهِ حَتَّى لَتَعْرِفَنَّهُ بِهَا
مَوْتًا كَمَا تَعْرِفُهُ مَقْبَلًا .

وَيَهَبُ اللَّهُ لَهُ دِقَّةً فِي الْحَسِّ وَصَفَاءً فِي الذَّهْنِ لَمْ يَهَبْهُمَا لَكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ .
وَالِيَهُمَا يَرْجِعُ الْفَضْلُ أَعْظَمُهُ فِي كُلِّ مَا أَدْرَكَ مِنْ بَرَاعَةِ وَبُورِغٍ . وَلِإِصْدَقِي بَاشَا
كُلَّ مَوَاهِبِ الرَّجُلِ الْفَنِّيِّ حَقًّا ؛ وَلِإِنَّهُ لَمْ يَعَالِجْ مِنْ يَوْمِ تَشَاثُّهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ
مَوْضُوعًا فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا بَرَعَ فِيهِ وَأَوْفَى عَلَى نَهَايَةِ الْإِحْسَانِ ، وَهَذِهِ الْمَوَاهِبُ
تَهَيَّأُ لِأَسْمَاعِيلِ صَدَقِي أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ رَجُلٍ مَالِيٍّ فِي الْبِلَادِ ، لَا أُرِيدُ مَوْثَرًا
وَلَا مُحَاضِرًا ، وَأَمَّا أُرِيدُ رَجُلًا عَمَلٍ أَنْقَذَ بِمَهَارَتِهِ مِيزَانِيَةَ الدَّوْلَةِ مَرَّةً وَكَانَ
قَدْ أَشْرَفَ بِهَا سَلْفُهُ عَلَى الدَّمَارِ ، وَمَا يَزَالُ يَعَالِجُ بِتِلْكَ الْعَبْقَرِيَّةِ الْفَسْدَ الْمِيزَانِيَّةَ
الدَّوْلَةَ وَزِيرًا وَعَضْوًا فِي مَجْلِسِ النُّوَابِ .

وَقَدْ تَطَلَّعْتُ الْآمَالَ مِنْ بَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ إِلَى وَضْعِ مَشْرُوعِ جَامِعِ ائِزْقِيَّةِ
شَأْنِ الْبِلَادِ مِنَ الْوَجْهَتَيْنِ : الْمَالِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ ، وَعُهِدَ بِهَذَا إِلَى (الْخَنَةِ) مِنْ أَهْلِ
الْخَطَرِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ مَصْرِيِّينَ وَأَجَانِبَ ؛ وَتَوَلَّى صَدَقِي بَاشَا رِيَاسَتَهَا فَبَحِثَ
فِي كُلِّ مِرَافِقِ الْبِلَادِ لَمْ يَدْعُ دَقِيقَةً وَلَا جَلِيلَةً فِي ذَاكَ إِلَّا حَرَّرَهَا وَدَلَّ عَلَى
مَوَاضِعِ النِّقْصِ فِيهَا ، وَكَيْفَ تُطْلَبُ أَسْبَابُ الْكَمَالِ لَهَا ؛ وَخَرَجَ بِمَشْرُوعِ
عَظِيمٍ لَوْ أَنَّ مِصْرَ وَفَّقَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِهِ وَالسَّيْرِ بِمِرَافَقَتِهَا عَلَى مَا رُسِمَ فِيهِ لَكَانَ
لِثَرَوَتِهَا الْمُسْكِينَةِ الْيَوْمَ شَأْنٌ آخَرُ !

وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمُثُلِ لِلِكَيْفَايَاتِ الْوَاسِعَةِ الْمَشْبُوبَةِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ بِمَطْلَبِ
وَلَا تَتَخَذَلُ عَنْ الْغَايَةِ ؛ وَأَتَى شَارَكَ فِي عَمَلِ كَانَ الْمُجَلِّيِّ وَكَانَ أَوَّلُ نَظَرِهِ جَمَاعَ الرَّأْيِ

في النهاية . ومما يؤثر له أن المجلس الاقتصادي — ولا تنس أنه من بعض آثاره في وزارة المالية — انتخبه رئيسا للجنة الفرعية التي عهد اليها وضع النظام الجبركي، فأعد برنامجا بديعا اتخذته اللجنة دستورا لها وما زالت ترسم آثاره إلى الآن .

ومما يُحصى له ، إن كانت تُحصى مفاخر آثاره ، تلك المحاضرة الرائعة التي ألقاها في العام الماضي على محامى المحكمة المختلطة في موضوع الامتيازات الأجنبية وعلاقتها بالضرائب . وما كان أعظم انتصاره إذ يضرب تلك الامتيازات في أمتع قلاعها، ثم يتدلّى عن المنبرين تهليل صفوة «الأجانب» وهتافهم الطويل !



وأحرز صدقي باشا إجازة الحقوق من مدرسة الحقوق المصرية وسنه لم تتشرف بعدد على الثامنة عشرة، وخرج الى مراكز النيابة فلم يظهر له فيها كبير خطر؛ وأى خطر كبير يمكن أن يتهيأ لعضو نيابة محدود السعى محدود العمل؟ ولكنه ما كاد يؤلّى سكرتيرية المجلس البلدى فى الاسكندرية حتى ظهر نبوغه وظهرت معه تلك الجرأة النادرة . ويقبض رجل مصرى لأول مرة على ناصية المجلس البلدى فيضبط إدارته ويعمل على أن يطهره من أدرانته تطهيرا . ثم حى به سكرتيرا داما لوزارة الداخلية فوكلا لها، فكان له شأن أكبر من شأن «موظف» مصرى فى ذلك الزمان . وأتى صار صدقي باشا فى مناصبه صارت معه الدقة والفطنة الى خفايا الأمور والاضطلاع من مهام الحكم بكل عظيم .

وتولّى الوزارة فلم يُطل به الخطُّ فيها فاعتزلها ولَبِثَ في داره بضَعّ سنين ، الى أن أُلْفَ الوفد في أعقاب سنة ١٩١٨ ليتحدّث على قضية مصر فانتظم فيه صدق باشا . وكان رابع أربعة من رجالاته امتدّت اليهم يدُ السلطة العسكرية فنقّتهم عن البلاد الى جزيرة مالطة ، حتى اذا أُطْلِقُوا بعد تلك الأحداث الجُلِّي ، انطلقوا من فورهم الى باريس حيث وافاهم سائرُ أعضاء الوفد ، وهناك جعلوا يرفعون صوت مصر ويطرقون بطلّيتها كل باب ، ويسعون الى استقلاها ما وجدوا الى السعى سهيلا . واذا كانوا رفعوا صوت مصر فلقد رفعوا كذلك رأس مصر ، واذا كانوا دقّوا في إثبات حقّها صحائف خالدة على التاريخ ، فان اسم اسماعيل صدق سيظلّ في أجلّ هذه الصحائف خالدا على التاريخ .

وفشّت ، مع الاسف ، فاشيةً اتقبض على أثرها صدق باشا عن العمل ، وصدرَ أدراجُه الى مصر ، وبقي في عُمراته حتى كانت الوزارة العدلية في أوائل سنة ١٩٢١ فتقلّد فيها وزارة المالية ، وشخّص في الوفد الرسمي الى لندن في تلك السنة . واذا كان قد شارك في بحث المسألة السياسية فقد انفرد ببحث المسائل الاقتصادية التي تعلّقت بها المفاوضات ، فكان فيما حرره منها حقّ لبيق وحقّ خير .

وتعلّم أن ثروت باشا قد استخرج في سنة ١٩٢٢ تصريحا ٢٨ فبراير وإعلان مصر دولةً مستقلة ذات سيادة ، فلا تنس أن صاحبه صدق باشا كان وَزَرَ في هذا السعي وعونه بما جلّ من التفاصيل . وما أبدع صدق يكلّ ثروت اذا عَرَضَتْ عظيماُت الأمور ، هذا لخطيب السياسة الضيخم ، وذلك لما يتكئ عليه حلّ المعضلات من دقائق الموضوعات .

فكيف بهذين مع عدلى بعينه العالية ونظره السياسى القدير ؟ وكيف
بثلاثتهم مع الزعيم الجليل سعد باشا وما اختصه الله به من شدة نفس وقوة
حُجة وصلابة عود ؟ .

ولقد حق للأمم الناهضة بهذا أن تَغِيْط مصر ؛ وإن مصر ببركة هذا
الائتلاف المقدس لبالغَةُ غرضها الأسمى إن شاء الله .

وبعدُ فلقد لبثت مصرُ بضع سنين وعيشتها السياسى قائم على تنازلاتها
وتناحر أحزابها ، كُلٌّ يعمل للقضاء على غيره حتى إذا خلا له وجهُ الأمر تولى
حلَّ قضية البلاد على ما قدره هو لتحقيق أمانى البلاد . ويستحز القتال
ويرمى كُلُّ عدوِّه بما ملكت يده من أسباب الهلاك . ويأبى حارس الكُفانة
الا أن يَبْصُر الصَّفوة من القادة وأعيان أهل الرأى بأنه اذا كان هناك من
يستفيد بهذه السياسة الدامية فليست هى مصر على أى حال !

وما إن آهَابَ بالقوم ذلك الداعى النصيحُ حتى أُلْقِيَ السلاح ونُصِبَتِ
الدروع ، وخَشَعَت القلوب وفاضت العيون بالدموع ، ومَشَى الأخُ الى أخيه
يستعثبه فيُعْتَب ، وهُرِعَ الولد الى أبيه يستعطفه فيعطِف ويحْدِب ؛ وتَبَزَل
الأضغان وتسلُّ الأحقاد ، فيجتمع الأَحبابُ من كل ناد ، فلا ترى الا عطفًا
يملاً الأفتدة ورحمةً تسيل بها الأكباد .

شواجرُ أرماع تَقْصِفُ بينها شواجرُ أرحامٍ معلوم قطعها
إذا احترَبَتْ يوما ففاضت دماؤها تذكرت القُرْبى ففاضت دموعها

وكذلك أصبحت البلاد بنعمة الله صفا واحدا يرمى فى غرض واحد بعد
أن كانت صفوفا يرمى بعضها بعضًا . وصدق باشا رجل شديد فى رأيه يعمل

له بكل ما أوتي من قوة ، وهو من أكبر العاملين على ترك سياسة الفرقة الى سياسة الوئام ، وصلّ الله في عمرها الى غاية الزمان ، فكان شديدا في الأولى كما كان شديدا في الثانية ، ومن يُنكر عليه هذا فهو لا يدين بمنافع البلاد حيث كانت ، ولكن يدين بعبادة الأشخاص حيث تكون ! .

وهل كان هذا في شرع السياسة يدعا ؟ وهذه دول الغرب التي تأخذ عنها أساليب الحكم وتروى وجوه التصرف في السياسة ، لقد تتعاضد أحزابها وتتفانى ، ويتضح بعضها بعضا بالمكروه ، حتى اذا حدثت الأحداث تصاحفت الأيدي ، واتحدت الكلمة وتلاحمت الصفوف ، ودخل رجال من بعضها في وزارة يُمنّى رئيسها لآخرين ، والأمثلة على هذا أوفر من أن يتناولها البيان .

ولقد كان سعد وعدلى وثروت وصدقي من بخر النهضة حزبا واحدا يدينون برأى واحد ، ويسعون لغرض واحد ، فهل يُعَدّ عليهم اليوم أن تتحسر الفتنة بينهم وأن يعودوا كما بدءوا قلبا واحدا ، وقد جاءت الأحداث لإنقاذ حياة البلاد ؟ !!!



ولعل صدقي باشا يمتاز عن أصحابه بشدة العصية لأهله ومعشره فلا يفتأ بتفقدهم ويتوفاى لهم ويصلهم بكل ما دخل في ذرعه ، ولقد يُفرط في هذا الى الحد الذي يبعث ضعاف الأحلام ، على إنكار ما أوصت به المكارم من صلة الأرحام !

وصدقي باشا ، في بابه ، عُدّة قوية للبلاد ، وهو لا يكَلّ من العمل ، على فرط ذكائه ، ولا يَمَلّ . ومما تحدّث به عنه أعرف الناس به أنه حين كان

وزيرا للمالية لم يكن يُرهق كبار موظفيها بطول المراجعة والاستخبار، بل كان يتكىء على فطنته واختباره وحدهما في مذاكرة ما يدفعونه اليه من الأوراق .
ومما تحدثوا به عنه في هذا الباب أيضا أنه كان في غاية اليوم يُحمل الى داره خرائط ثلاث أو أربع تُجن كل ما يجري من الأعمال في وزارة المالية ، فيُكب على دراستها من الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي فلا تدخل الساعة التاسعة الا وقد قتلها بحثا ومراجعة واستوى له في كل منها الرأي النصيح .
وإنَّ خَطْمًا عظيمًا ألا يُستخدم على الدوام للنفع العام ، فاذا أخذه شائوه يَهِنه فما كان هذا ليتنَّص أقدار الرجال ، الا اذا تنقَّصت الكهوف أقدار الجبال ، ولعلمهم في هذا أيضا كانوا مسرفين !

من صدقي باشا الى محرر المرأة

وقد تفضل حضرة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا فبعث الى محرر
« المرأة » بالكتاب الآتي :

عزيزي الاستاذ الفاضل

أشكر فضيلتكم كثيرا لمراتكم الناصحة وإن كنت لا أخفى عنكم أنني لم أتعرف
صورتى تماما خلافاً ، بل أخشى أن تكونوا قد بالغتم في تعجيلها وتزيينها .

المخلص

وأرجو قبول تحياتى

اسماعيل صدقي

١٧ يناير سنة ٩٢٧

(محرر المرأة) وليس لى يامولائى ما أقوله في هذا المقام غير قول الشاعر:
فلو (صورت) نفسك لم (أزدها) * على ما فيك من شرف الطباع



بَصِيرَةً بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا * تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ

على الشمسى باشا

لم يكن على الشمسى من يوم نشأته منكور المحل ، وأوّل عهد الجمهور به يوم كان فى سويسرا يطلب العلوم العالية ، فكان طالبا مجتهدا متفوقا ، وكان الى جانب ذلك حركة وطنية قوية تدعو لمصر المضطهدة وتطالب لها الحرية فى صميم بلاد الحرية . نعم كان الشمسى فى أوروبا أقوى صدى لصوت الحزب الوطنى فى مصر . وأتمّ تحصيل علومه ونال علما الشهادات من أكبر جامعات سويسرا ، وعاد الى بلاده فظن الناس أن «وظيفة» تُعهد فى الحكومة لهذا القادم الناجح الجديد ، فاذا به يعدل الى دار الحزب الوطنى وينتظم من قوره عضوا فى مجلس إدارته . وهكذا كان الشمسى درسا بليغا فى التضحية خالصة لوجه الوطن ، من حيث علم من لم يكن يعلم أن التلميذ يتعلم فى مدارس مصر حتى اذا تآقت نفسه الى طلب العلم العالى هاجر الى بلاد الغرب فابث سنين طويلا بعيدا عن أهله وأحب الناس الى قلبه ، وأنفق ما شاء الله أن يُنفق من مال وعمر ، وأدركه ما شاء طلب العلم من كد ذهن وإرهاق عصب ، حتى اذا برع وحاز أسنى الألقاب العلمية ، عاد الى بلاده لا ليطلب بهذا كله عند الحكومة مُرتزقا ، ولكن ليطلب به «وظيفة» جندى مجاهد فى سبيل الوطن !

وكان على الشمسى فى الحزب الوطنى قوة كبيرة لا فى جهازة الصوت ، ولا فى كثرة الترائى للجماهير ، ولا فى سبب من أسباب الظهور ، ولكن فى صحة

الرأى وبعد النظر وسلامة التدبير . حتى اذا بعثته ضرورة الحال للخطابة أسمع
الناس كلام وطنى شديد الوطنية فى عبارات سياسى محصه العلم وممرسته
تجارب الأيام .

وهنا يحلولى أن أقزر ملاحظة صغيرة : تلك أنه لم يكد يخرج رجل فينا
الى ميدان السياسة إلا جاز اليه بالحزب الوطنى والتشيع بادی الرأي لمبادئه .
والوجه فى هذا ، على تقديرى ، أن الحزب الوطنى حزب الشباب حقاً ، وأن
مبادئه مبادئ الشباب حقاً .

والشباب كله ^(١) حد وقوة : دم فائر ، وطبع نائر ، وخيال طائر ، وأمل
لا يتحسب للصعاب ، ولا يتخذل عن الاستشراف للغاية مهما عر الطالب ^(٢) :
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانباً !

وكما علت السن عدا العقل على الخيال ، وقصت التجارب من حوافى
الآمال ، وطال النظر وكثر الحساب ، وتحير الرأى فيما على طريق الغاية من
عوائير وما فيها من عقاب ^(٣) - الى ما تثل السن من القوة ، وتقل من أظفار الفتوة ،
وتعجز من تلحقه عن التطلع الى الطفرة ، وتطامن من إحاح أمله طلباً للسلامة
من العثرة . فاحكم أنت بعد هذا : أكانت فترة الشيوخ عن صحة تدبير وصدق
حساب ، أم عن تراخ فى المنة وعجز عن الوثاب ؟ !

وجاء الانتخاب « للجمعية التشريعية » فظفر على بك الشمسى بالعضوية
فيها عن مديرية الشرقية ، ولا أدرى أكان ظفره بذلك ، على شدة التنافس

(١) الحد : الحدة . (٢) الطالب : الطالب . (٣) العقاب هنا : جمع عبة .

وقسوة الخصومة السياسية ، لإدراك النخبين صدقَ وطنيته وما له من
المواهب السامية ، أم لإنهم إنما أخرجوه للنيابة عنهم لحسبه وأصالة عرقه
وموضع بيته في تلك البلاد ؟

على أنه ما كاد يتبوأ كرسيه في « الجمعية التشريعية » ، وكان أصغر
أعضائها سناً ، حتى انفسح له بين رجالاتها في مكان الرأي والحكمة .
مكان خطير !

ودارت رعى الحرب العظمى ، وظهر للسلطة القوية أن على الشمسى
(من غير المرغوب فيهم) فكفوه عن العودة الى بلاده ، ويأبث في ديار الغرب
منفياً طوال زمن الحرب ، فاغتنم هو هذا الزنى ليدعوا فيه لمصر وليستريد من
فضل الوقت لطلب العلم في أعظم جامعات الغرب .

وأراد الله وأُغمد السيف ، وهتف هائف السلام ، وأذن (للمغضوب
عليهم) في العودة الى بلادهم ، فعاد على الشمسى لا يستريح من ذلك النصب
الطويل ، ولكن ليستقبل في قضية بلاده ذلك الجهاد الطويل .

وشخص الوفد المصرى الى أوروبا فسرعان ما اتصل به على الشمسى ،
وظل يمدّه بجهوده ويصله بصادق الدعوة في مواطن الدعوة ، ثم انتظم
فيه عضواً .

وبعد ، فأنت أخبر بمساعيه للوفد المصرى وبخاصة في بلاد الغرب ،
مما أجدى عليه بقوة ذكائه وعظيم اختباره ووثيق صلاته برجال السياسة
هناك اعظم الجدوى .



ولقد حدّثتك في أوّل هذا المقال أن على الشمسى لم يكن من يوم نشأته منكمور المحلّ ، وإنما أردت بهذا علّم الناس بنشأته في المجد والحسب ، وثقتهم بماله من شدّة فطنة وواسع علم ، وإيمانهم بما أدرك من اختبار وتمرين في السياسة وصدق جهاد في الوطن ، أما أنه يصلح لأن يكون وزيرا ، وفي وزارة المعارف ، يضطلع بتلك الادارة الواسعة ويعالج أضخم مشكلة تعترض حياة البلاد ، وهي مشكلة التعليم ، فذلك ما كان محلّ نظر كبير ، إن لم أقل إنه كان موضع خوف كبير ! حتى لقد سلّم كثير من الناس الأمر لله في هذا وللزعماء تسليما ! وحتى قال بعض الصادقين المخلصين حين رأوا إجماع الزعماء على تقليد على بك الشمسى وزارة المعارف «اللهم إيماننا كإيمان العجائز» !! !

وأوّل ما طُنّ به أنه سينبعث بهوى السياسة وحدّها في عمله الجديد ، فلا يرى أثرا إلا عقاه ، ولا بناء إلا هدمه ، ولا عملا لأسلافه إلا نقضه ؛ ولكن على الشمسى لم يكن عند رأى أحد من أولئك المتعجّلين جميعا ! فقد ارتفع به علمه عن أن يغيّر في نظم التعليم لمجرد الشهوة في التغيير ، وارتفعت به وطنيته عن أن يغضب العلم ليُرّضى السياسة ؛ وحين فارت فورة بعض أعضاء مجلس النواب على ما صنع سلفه أبت على على الشمسى كرامته وكرامة العلم عليه أن يشايع بظهور الغيب ؛ بل لقد صارح القوم بأنه لا يستطيع أن يحكم على عمل سلفه إلا بعد أن يُراجعه ويُصيب فيه مكان الرأى ، فما كان منه خيرا أثبتته وأقرّه ، وما كان شرا رده إلى الخير ؛ وأسرع لساعته فدعا بالأفذاذ

من أقطاب العلماء وأهل البَصَر في هذا الموضوع ، وألّف منهم (الجنة) برياسته لمراجعة نُظُم التعليم بجميع درجاته ووضع الخُطّة الحكيمّة التي تُحقّق في العلم أماناً البلاد؛ وها هي تيّ تعمل جاهدة في هذه السبيل فلا تنتقل من خُطوة الى خُطوة إلا بعد البحث وتقليب النظر وطول المراجعة ؛ حتى لا تُرسل خطوتها إلا الى الثابت المطمئن ، مستهدية بالحكمة والاختبار وحاجة البلاد وطبيعة أهلها وما انتهى اليه رأى علماء التربية في نُظُم التعليم . وإنا انرجو الله تعالى أن يوفّق هذه (الجنة) في مهمتها حتى تبلغ غايتها ، وبهذا ندعو لعلّى باشا الشمسى بتسجيل أبلغ نحر أئبّسه التاريخ لوزير المعارف في مصر .



وعلى باشا الشمسى رجلٌ جَمّ الأدب وافر التهذيب : يُروى عنه أنه لا يلقى أصغر عمّاله إلا باللطف والهشاشة ؛ على أنه مع هذا شديد الحزم لا تأخذه هَوّادة في موطن الحق . يغار على عمله غيرته على أوّثق أسبابه ؛ فلا يدع صغيرة ولا كبيرة من أعمال وزارته إلا سلّط عليها ذكاءه وقلّها على كل نواحى الرأى ، فان اجتمع فيها وجه المصاحبة الخالصة أمضاها وأجازها ؛ وإلا فلا تمّ هوى النفس وهوى « الرجاء » الشكّل .

وليت حكمانا جميعاً يصلّبون على تقبّل الشفاعات في غير مواطن الحق ، فان الإفراط في الرجاء أصبح من أعضل أدوائنا الاجتماعية .

واذا كان الحاكم عدلاً صادق الولاية على عمله فليس هناك معنى (للرجاء) عنده إلا أن يراد به العدول الى الظلم وتعهد الخلاف للقانون ! أرايت مثلاً

هذا إسفافاً في الطّباع وفُسُولةً في الأخلاق ؟ ! ... والعجب أنه مع وضوح هذا كلّ جماعة المضطّرين بفنون الشفاعات عند الحكام فإن أكثرهم يُطْلَقُونَ ألسنتهم بمقالة السوء فيمن يعتصم بالحق ولا ينحرف ، طوعاً لشفاعتهم ، عن حكم القانون . وبهذا أصبح لا يستحق الحمد ، في شرع هؤلاء ، إلا ظالمٌ متمرد على النظام ! .

وقال لى صديق من القضاة يوماً وهو جَرَّعٌ نائر النفس : لا يغنينى يافلان قدر أن يخيئنى الشفيع فى احدى القضايا فلا يفتح عليه الاجرام إلا بأن يرجونى "أن أقضى فيها بالعدل" ! ومعنى هذا أنى لا أحكم فى أقضية سائر الناس إلا بالظلم ! ولو سألتى أن أقضى فى شأن صاحبه بالظلم لكان ذلك أرفق بى وأدّل على أنى اذا أرسلت على طبعى لما عدوت مكان الحق ! ... أقول ، لو صلب الحكام جميعاً على تقبيل الرجاء لما استكفوا الأذى فتمطبل لطبعوا ، على الأيام ، كثرة الناس على حب الحق واجلال القانون ؛ وما أحوج بلادنا فى نهضتها الكريمة الى أن يتغلغل فى القلوب حب الحق واجلال القانون .

ونعود الى على باشا الشمسى فنقول إنه أظهر فى هذه الفترة التى قبض فيها على زمام وزارة المعارف كلّ مواهب الوزير العظيم القوى الذهن ، النافذ الرأى ، الواثق بالنفس ، والذى لا يجعل كلمته فى أسباب الحكم رهناً بمنصبه ، بل يجعل منصبه رهناً بكلمته .

وليس لتعليم على الشمسى فضل كبير فى الحرص على كلمته ؛ بل إن أعظم الفضل فى ذاك لحُكْمِ الوراثة ، فقد قال أبوه أمين باشا الشمسى أغنى

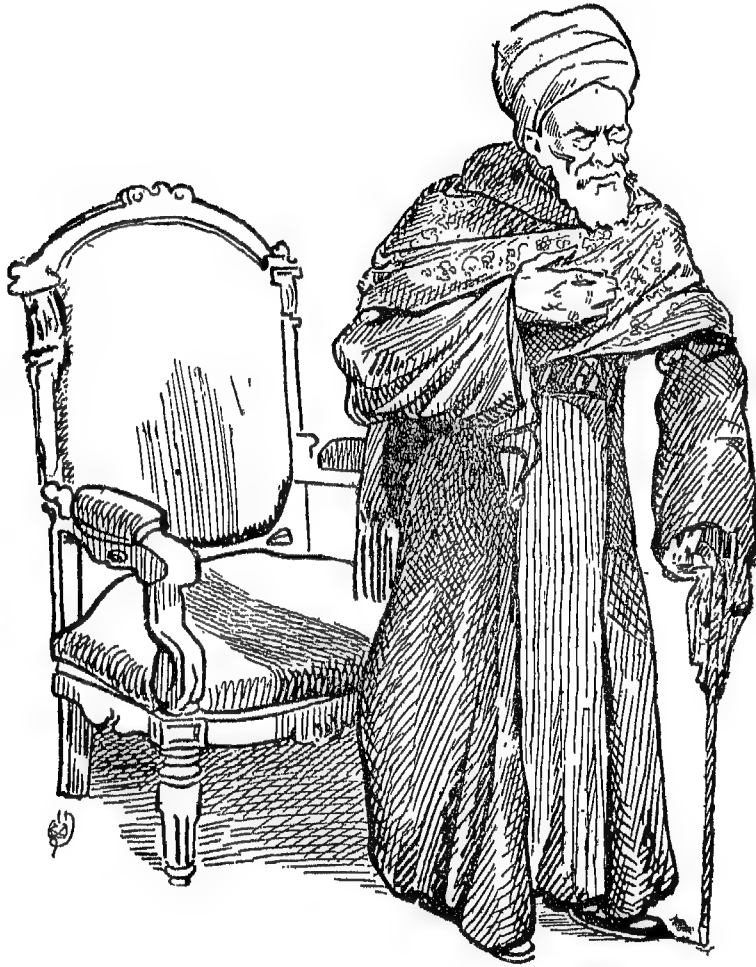
تجار القطن من قبْلُ كلمة ؛ وكان له أن يتحلَّل منها فلم يفعل ، وخسر فيها
مئات آلاف الجنيهات . وهكذا اذا كان فى نُبل الكلمة خسارة فى المنصب
أو المال ، فهى كل الرّبح يُحصيه التاريخ لعظماء الرجال .



وعلى باشا الشمسى شاب متين الجسم مفتول العضل ، أدنى الى القصر
منه الى الطول ، أبيض اللون ، أزرق العينين ؛ تسترعى نظرك منه تلك الجهة
الواضحة العريضة التى تُمثِّل لك قاعدة مثَّث ينتهى بأسفل ذقنه ، وما إن رافك
منه أدبه وشدة وداعته فاطلعت منه على تلك الجهة الهائلة إلا أحسست
أنه رجل خُلِق لا يكفاح والنضال .

وحَدَّثُكَ أنه مفتول العضل ؛ ذلك بأنه (Sport) حقا فهو يُجيد
السباحة وركوب الخيل والملاعبة (بالشيش) ولا ينطوى عليه يوم إلا فَرَضَ
منه قسما للألعاب الرياضية .

واذا كان فى المصريين قوم قد أسفوا أوَّل الأمر على تقليد على الشمسى
وزارة المعارف فان هؤلاء اليوم أشدُّ الناس أسفا على أن الوزارة قد حُرِّمت
هذه العبقرية من زمان طويل .



الحمد لله ! لم يبقَ إلا مائة ألف جنيه و ٥٠٠٠ سهم بنك عقارى قديم
حتى أقطع الى عبادة الله والزهد فى الدنيا ! ...

الشيخ أبو الفضل الجيزاوى

آلَا من شاء أن يَقْدُر مبلغ التطُّور الذى دخل على رجال الدين عندنا
ويعرف مدى الطُّفرة العظيمة التى طَفَروها فى سهيل الحضارة (والرقى) !
فليسمع القصة الآتية :

حدّثنى الثقة الصادق أنه كان فى الأزهر من ستين او سبعين سنةً عالمٌ
جليل المقدار يدعى الشيخَ الإسماعيلىؒ، وكان يسكنُ جامع المؤيد، وله تلميذٌ
خاص، على عادة كبار العلماء فى ذلك الزمان، يقرأ بين يديه دَرسه إذا أقبل
على حَلَقته، ويتلوّه عليه إذا خلا لِمذاكرته؛ ويُعيّنه إذا سعى، ويصبُّ له ماء
وَضُوءه؛ ويحمل نعله إذا دخل المسجد الخ . وهذا التلميذ كان يدعى
الشيخَ حَسَنًا

وكان الشيخَ الإسماعيلىؒ رجلاً شديد الزُّهد فى الدنيا قوى الرُّغبة عنها،
لا يتعلَّق منها بسببٍ إلا ما كان من شأن دينه وتعليم طلبته، وكانت وظيفته
كُلَّ يوم بضعة رُغفان يتبلَّغ بها وتلميذه، وفى كل شهر ثلاثين قرشاً يأتدِم بها
وصاحبُه، ويتجمل بما فَضَّل منها لسائر حاجاتهما . ويدعو أحدُ التجار ذلك
الشيخَ ليتغدى عنده آتماسا لبركته فيأبى الشيخُ ويعتذر، ويلجّ الرجل فى الدعوة
فيلجّ الشيخُ فى إِبائِه واعتذاره . فلما أيسَّ الرجل من إسلاس الشيخ طلب
وَجَه الحيلة فى الأمر فاخْتلى بالشيخ حَسَن وقال له : إذا رُضِّت لى نَفَس الشيخ

وُقِدَّتْهُ الى دارى لِيُفِطِرَ عِنْدِي فِي رَمَضَانَ ، وَقَدْ أَصْبَحُوا مِنْ رَمَضَانَ عَلَى أَيَّامٍ ،
اجْتَمَعْتُ لَكَ عَلَى هَذَا يُخَيِّتُ مِنَ السَّمْنِ ، وَغِرَارَتَيْنِ مِنَ الْقَمَحِ ، وَأَرْبَعَةَ
أَعْدَالٍ مِنَ السَّكَّرِ وَالصَّابُونِ وَالشَّمْعِ وَالْبَنِّ . فَجَمَعَ الشَّيْخُ حَسَنُ كُلِّ عِزْمَةٍ
وَانصَبَّ عَلَى شَيْخِهِ يَقْبَلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ أَلَا يُخَيِّبُ رَجَاءَ دَاعِيهِ ، إِذَا الشَّيْخُ
مَا يَزَالُ فِي نَفْوَرِهِ وَإِبَائِهِ ، وَالشَّيْخُ يُلْحِقُ فِي الْاعْتِذَارِ مُحْتَجًّا بِأَنَّهُ مَا زَالَ
فِي (خِرَانَتِهِ) خَبْرٌ كَثِيرٌ . وَلَمَّا طَالَ الْخَلَّاحُ التَّامِيزُ فَطَنَ الْأُسْتَاذُ إِلَى أَنَّ فِي الْأَمْرِ
شَيْئًا فَقَالَ لَهُ : هَلْ اجْتَمَعَ لَكَ الرَّجُلُ عَلَى هَذَا جُعَلًا ؟ فَقَالَ : بَلَى يَا مَوْلَايَ !
لَقَدْ جَعَلَ لِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَأَنَا رَجُلٌ ، كَمَا تَعْلَمُ ، ذُو زَوْجَةٍ وَأَوْلَادٍ ، وَإِنِّي أَرْجُو
أَنْ أَعُودَ بِهَذَا عَلَى شَمْلِي وَأَوْسَعُ فِي النِّفْقَةِ دَهْرًا عَلَى عِيَالِي ؛ وَحِينَئِذٍ طَابَتْ نَفْسُ
الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ بِاجَابَةِ الدَّعْوَةِ رَحْمَةً بِعِيَالِ الشَّيْخِ الْأَصْغَرِ ، وَعَيْنَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ
رَمَضَانَ لِيُفِطِرَ فِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّاجِرِ . وَيَطِيرُ عَمَّ الشَّيْخِ حَسَنُ إِلَيْهِ يَشْرُهُ بِقَبُولِ
الشَّيْخِ . وَيَحْتَفِلُ الرَّجُلُ لِلْأَمْرِ فَيَدْعُو بِأَجُودِ الطُّهَاءِ وَيَتَقَدِّمُ إِلَيْهِمْ بِطَهْطَى
أَزْكَى الْأَطْعَمَةِ ، كَمَا يَدْعُو لِلْيَوْمِ الْمَعِينِ أَعْيَانِ التَّجَارِ وَالسَّرَّاءِ وَكُلِّ ذِي خَطَرٍ
فِي الْحَيِّ لِيَنْعَمُوا بِطَلْعَةِ الشَّيْخِ وَيَتَشَرَّفُوا بِوُجْهِهِ . حَتَّى إِذَا كَانَ عَصْرُ ذَلِكَ
الْيَوْمِ لَاحِظَ الشَّيْخُ حَسَنَ عَلَى أَسَازِهِ فَتَوَرَّأَ وَاعْضَاءَ وَتَرَبَّدَ وَاجْهَ وَانْقِبَاضًا عَنْ
الْحَدِيثِ ، حَتَّى إِذَا تَهَيَّأَتِ الشَّمْسُ لِلنُّزُولِ قَالَ لِصَاحِبِهِ : هَلُمَّ بِنَا . وَانْطَلَقَا يَطْلُبَانِ
حَتَّى الْجَمَالِيَّةِ ، مَتَوًى الدَّاعِي ، وَمَا كَادَا يَنْشَرَّفَانِ عَلَى حَارَتِهِ حَتَّى أَبْصَرَا عَلَامَتَهُ
الزَّيْنَةَ مِنْ بُنُودِ خَافَقَةٍ ، وَثَرِيَّاتِ آلِقَةٍ ، تَرْتَجِفُ أَشْأَاءَ ذَلِكَ بَطَاطِيخِ الزَّجَاجِ
فِي أَلْوَانِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَرَأَى أَبْجَارَ الْأَعْيَانِ وَهُمْ مَيِّمُونَ دَارَ الدَّاعِي عَلَى أَتْنِهِمْ

وبراذينهم الفارسية . فحمد الشيخ وأصفر وجهه وتهدأت شفته وأرعشت
 يده وصاح في تلميذه : كم اجتمع لك الرجل يا شيخ؟ فقال : جعل لي كيت
 وكيت ! قال : فكم يبلغ ثمنها ؟ قال : يامولاي حول الاثنى عشر جنبها ! قال :
 فقسطها على كل شهر ثلاثين قرشا !!! ودار على محوره وجرى طلقا الى مشواه
 في جامع المؤيد حيث ينسبط خوانه مما اذخر من الخبز في (خزانته) !!!



وفينا اليوم علماء كبار، ولنا اليوم شيخ إسلام جليل المقدار، لم يمنعهم
 علمهم ، ولا دينهم ، ولا شدة ورعهم عن أن يفقهوا الدنيا ويجاروها
 في مظاهر حضارتها ورقيا حتى لا يطلقوا فينا القالة ولا يبعثوا الألسن
 بتنقص الدين والقول بأنه يدعو الى الجود ومناهضة عوامل الرقى والتقدم
 في الدنيا الى حد أن يُحيوا ليلة القدر المباركة في (دار الوكالة الانجليزية
 في شهر رمضان الماضي !!!) ولو قد رأيتهم يهرولون في (فروجياتهم) الى دار
 الوكالة الانجليزية إجابة لدعوة العميد وذكرت مرجع ذلك الشيخ الحامد
 وهربه من تناول طعام لعله قد دخله ما لا يحل — لعرفت حق العرفان مبلغ
 التقدم الذى بلغه رجال الدين عندنا فى مدى ستين أو سبعين من الأعوام !!!

ولو قد استشرقت لك ليلة القدر فكشفت لك عن (خزانة) الشيخ
 أبى الفضل الجيزاوى شيخ الاسلام لما وقعت عينك فيها على فقار من الخبز،
 بل لوقعت على الآلاف من (البنك نوت) الى أمثالها من أسهم الدين الموحد،
 وشركة السكر ، والرنيت الفرنسى ، والقونسوليد الانجليزى ، وقناة بناما،

(ويا نصيب) بلدية باريس ، الى وثائق الرُّهون ، والغاروقات ، والامتيازات العقارية ، والاختصاصات ، وأحكام نزع المِلِكِيَّات ، وإن شئت إجمالاً قلت إن (خزانة) شيخ إسلامنا ، والحمد لله ، لا تَقِلُّ عن خزانة ثلاثة (بنوك) مجتمعات !!! .

وما لنا لا نَغْتَبِطُ بهذا ولا نُبَاهِى به وقد كانت كُلُّ (العمليات المالية) فى أيدي الافرنج واليهود والأروام والأرمن ، وها هى تى الآن تستخلصها من براثن أولئك الأقوام ، أيدي ساداتنا العلماء الأعلام .

والشيخ أبو الفضل الجيزاوى رجلٌ عَصَامِيٌّ حقاً فقد خرج من بلدته الوَرَّاق من أعمال مركز انبابه الى الأزهر ، وجدَّ فى طلب العلم وكَدَحَ فى ذلك كَدْحاً عَنيفاً قام عنده مقام شدة الذكاء وقوة الاستعداد ، وانتهى أمره ، لا أدري بأية وسيلة ، الى المرحوم الشيخ العباسى المهدي الذى كَرِهَ له لقبه فدعاه (أبا الفضل) فذهب له هذا اللقب من ذلك اليوم . ولما استوى علماً مدرسا كان المرحوم العباسى يعتمد عليه فى بعض وسائل امتحان العالمية فى الأزهر . ورأى الشيخ (أبو الفضل) أن (يعملَ لَدُنْياه كأنه يعيش أبداً كما يعملَ لآخرته كأنه يموت غداً) فخرَّص على جمع المال وجدَّ فى تكميله من أيسر الوسائل ، وكم وَاَسَى به عانياً ، وكم فَرَّجَ به كُرْبَةً محتاج ؛ على أن الله تعالى ، الذى لا يذهب العُرفُ بينه وبين الناس ، قد أنعم عليه وجازاه فيما أعطى أضعافاً مضاعفة . وله فى هذه المكارم أحاديثُ مأثورة ، وصحفٌ لا تزال مقروءة منشورة !!! .

وظلَّ الشيخ (المالى) مدرسا في الأزهر معروفاً بشدة الاجتهاد والمطاولَة في الدرس ، وقوة الصبر على التفهيم وتصيّد الشكوك ومدافعتها ، على عادة الأَكثَرين من علماء الأزهر في عهده ، فكان درسه من أحفل الدروس بطلبة هذا النوع من التعليم .

وهو رجل معروف بحبِّ القرآن وتلاوة القرآن ، فلم يتبَطَّر وهو عالم كبير ، ومالى شهير ، على أن يَلِيَ مَقْرَأة السلطان الحنفى لقاء ريال في كل شهر ، وعشرين رغيفاً في كل أسبوع ! .

ثم وَلِيَ مشيخة معهد الاسكندرية وظل فيها الى أن أَفْضَت اليه مشيخة الاسلام في سنة ١٩١٦ أو ١٩١٧ م ، وبلغ من حب الرجل للقرآن واحتفاله للقرآن ألا يتنحى عن مَقْرَأة السلطان الحنفى وهو في ذلك المنصب الجليل !!!
ويأبى الله إلا أن يَفْسَحَ له في الخير ويُسِّطَ له في الرزق ، فبعد أن كان مرتب شيخ الاسلام ستين جنيهاً في الشهر أضخى ألفي جنيه في العام ، وبعد أن كان ثلاثين رغيفاً في اليوم أصبح ثلاثمائة ، الى ما أضيف الى ذلك من وظائف عدّة تجرى على مولانا الشيخ الأَكبر في كل شهر مكافأة على حضور مجلس ادارة مدرسة القضاء الشرعى ، وأخرى لمدرسة دار العلوم ، وثالثة على حضور مجلس الأوقاف الأعلى ، ورابعة لمجلس البلاط ، وخامسة وسادسة وسابعة وثامنة ، الى تلك الأوقاف الواسعة التي دخلت على مشيخة الأزهر والتي لا يعلم حسابها .
إلا الله تعالى . وما شاء الله كان !!! .

والشيخ أبو الفضل الجيزاوى متوسط القامة بين الطول والقصر ، قصير العُنُق ، عريض الألواح ، متوافر اللحم لولا أن رَهَلَ لحمه بحكم التسعين ، أَخِيفَ

العينين ، خفيف شعر العارضين ، كَوَسَّجَ اللحية ، أَرَتْ اللسان ؛ اذا تحدّث تتمم فلا تكاد تَسْتَبِين له إلا بالعناء قولاً ، وقد أصبح من المرض وتزاحم السنين أشبهه بمومياء ، حتى لو قد اسْتَدْرَجَتْهُ يوما الى دار الآثار ما استطعت أن تستخرج منه إلا بعد جدال وجُهد فى الإثبات !!! . . . وهو وإن تهتم جسمه ، وإن تَحْمَدَ ذهنه ، ما يزال قَيَّ الرغبة فى المنصب . وإن الحفلة الرسمية تُعقد ، وللشيخ كلُّ عذره فى التخلف عنها لمعالجة ما هو أشبه بالموت ، ولكنه يأبى إلا أن يُجْمَلَ الى الحفل حملاً إِدْحاضاً لما يتقول على صحته المتقولون !!!

وللشيخ مزيّة التى لأُتْكر ، فهو شديد الحرص على إطاعة كل ما يُؤمر به ممن يَسْتَدْرِج الأمر منهم ، إذ الرجل واسع العلم بأحكام الفقه وما تُتغيّر عليه فى كل حادث آراء الفقهاء ، فلا يُعجزه أن يُبرئ ذمته فى أىّ حادث بجواب ، مهما اختلفت العال وتنوعت الأسباب .

ومن طَريف ما يُذكر لمولانا الشيخ فى هذا الصدد ويدل على عظيم تصرفه وحاضر محبته أن عالماً يُمْتُ لنشأت باشا بالصّهر ، وقد نال إجازة التدريس من الأزهر على أنه شافعى المذهب ، وبعد سنين تقدّم الى الامتحان فى فقه أبى حنيفة توسّلاً الى تقلّد منصب القضاء الشرعى ، فلما طُرِح اسمه على لجنة اختيار القضاة الشرعيين ، ولم يكن لنشأت باشا فى ذلك اليوم شأن ولا خطر ، عارض مولانا الأَكْبَرُ فى تعيين ذلك الشيخ بحجة (أنه شافعى) ! . وتُدور الأيام ويُقْبَضُ نشأت باشا على كل السلطة فى الحكومة ، كما تعرف ، فَيُرَدِّد اسم الشيخ صميره على اللجنة ؛ ويتبارى بعض الشيوخ من أعضائها فى تزكيتيه

وتبدين مزاياه ويؤمّن على شهادتهم فيه مولانا الأستاذ الأكبر هاتفا بهم :
ولا تنسوا أنه مع كونه عالما حنفيا فهو يُجيد (فقه الشافعى) أيضا !!! .

والشيخ ، على ما أفاء الله عليه من الثراء العريض والنعمة الواسعة ، مازال
يَتَّخِذُ دارا متواضعة في زقاق ضيقٍ خِلافٍ مِيزَانَةِ الحنفى ، على أنه طالما أتعب
سماسرة البلد في المساومة على ما يعرض للبيع من قصور الزمالك ، والجزيرة ،
وقصر الدوبارة ، (وجاردن سى) فإذا جاءوه بالبيت وكان ثمنه عشرين ألفا طلبه
بالخمسة عشر ، وإذا كان بخمسة عشر صمّ على العشرة ، وهكذا ما زال الشيخ
جاهدا نفسه وجاهدا معه سماسرة البلد من عشرين مضت ، فلا هو يشتري
ولا يَقْعُدُ عن التماس القصور ، على حدّ قول الشاعر : (فلا أَمَلٌ ولا تُوفى
المواعيد) ! وماله ولقصور الدنيا تلك التى تستفتح الخزائن وتستخرج الأموال
وتُجشّم النفقات ، وفي الجنة قصور من الزمرد ومن اليواقيت ومما تقوم اللبنة
فيه من الفضة وأختها من الذهب وهى لا نفقة فيها ، فالطيبات كلها وألوان
التّرف تجرى على أصحابها من غير كلفة ولا عناء . ولمولانا الشيخ منها ، بعد
العمر الطويل ، ما لا يُحصى جزاء الزهد في الدنيا والرغبة عن قصورها ومتاعها
(وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ؟ .

نسأل الله جل وعلا أن يُمِطَّ في عمر الشيخ أبى الفضل في الدنيا وأن
يُسعد في حاله ، ويزيد في ماله ، فلا تقوم بجانبه البنوك ، ولا تجوز بغير توقيعه
المُكوك ، وأن يخصّه بكل ما تجبّيه الأوقاف والحوانيت والشركات
والمصارف ، من أول الاسكندرية الى أقصى القضايف . آمين .



لا يُغَرِّكَ سُهولة المَرْتَقَى إِذَا كَانَ الْمُنْحَدَرُ وَغَرًا

عزيز عزت باشا

مظلومٌ من الطبيعة، ومظلومٌ من الحكومة، ومظلومٌ من الناس، ومظلومٌ من نفسه . شاع فيه المرض أو توهم المرض (أو ما تراه أعظمًا وجُلودًا ؟) فهو يخشى الطعام لئلا يدركه البَسمُ ، ويخشى الشراب لئلا يُلحَّ عليه السَّقمُ ، ويخشى المشى خوف تعب القلب وخفقانه ، والتلفتُ اتقاء وجع الجنب وضربانه ، والحديثُ فانه يُرهف العَصَبَ ، والكتابةُ فانها مدعاة للسَّكَدِ والنَّصَبِ . ولا بد له من أن يَطمَع ليعيش ؛ فاذا قَرَّبوا اليه الطعام دفع صحَّاف اللحم أبيضه وأحمره ؛ لأن أضراره لا تقوى على قَضَمه ، ومعدته لا تضطجع بهضمه ، واذا جاعوه بالخضر صَدَفَ عن هذا فقيه حديد ، وهذا لكثرة ما يحوى من (الأسيد) ، وهذا لأنه وشيك التحجُّر ، وهذا لأنه سريع التخمر ؛ وهذا لأنه يستحيل في الأمعاء فاذا ، وهذا لأنه لا يجيد في (الاثني عشرى) مجازا ؛ ثم مدَّ يده في خوف ووهل فتحيَّف من احدى الصِّحَاف قطعة من (البطاطس) مسلوقة مدقوقة ، قد بالغوا في عَرَكها ، وألحوا في فركها ، ولم يعالجوها بدهن ولا مرق ، حتى اذا أساغها بعد طول مضغ وهرس ، وترديد على كل ثنية وكل ضرس ، مضى يطلب لهضمها من العقاقير كل ما أخرج أطباء الانجائز والألمان ، والفرنسيين والأمرىكان ، مما يُدبِّر عصير المعدة ، ويجوِّك الأمعاء ، ويُشَدِّد

المُصران ، ويقوى (الضَّفيرة الشمسية) ويمنع التخمر ، ويشتفّ الغازات ، ويحتّاز (الحجاب الحاجز) فلا يضغط القلب ، ثم راح يشكو هؤلاء جميعاً !!
وعزيز باشا عزت كبير الرأس ، له وجه شاحب طويل على جسم رفيع طويل ، لو وقف أمامك ولم يتحرك لخلته عصى خيُزانة ركب عليها مقبض من العاج ! .

وقد نجم من بيت حسب وغنى ، وتعلم في صدر شبابه في مدارس مصر ، ثم شتّص الى إنجلترا فتلقى العلم في مدارسها ، ثم دخل في جامعة (ولش) العسكرية حتى إذا طوى فيها سنين طالبا مُجداً متفوقاً خرج منها ضابطاً في الجيش البريطانى ، ثم استقال وعاد الى مصر فانتظم في خدمة الحكومة المصرية حتى قُلت وكالة الخارجية ، الى أن كانت وزارة محمد باشا سعيد الأولى فلم ير أن يبقى في وزارة الخارجية ويكلا فنزح بأهله الى لندن وأقام فيها كل هذه السنين . وهو رجل وافر الذكاء ، غزير العلم ، جَمُّ الأدب ، صادق النبئ ، وبهذه السجايَا استطاع أن يُحرز في بلاد الانجليز مكاناً رفيعاً .

ولما جاء دور اختيار السفراء قلّدتَه حكومة جلالة الملك فؤاد الأول سِفارة لندن ، وكان اختياراً موفقاً من ناحية ما للرجل من سعة العلم وصدق النبئ ووفرة الغنى والمنزلة في عظماء الانجليز ، الا أن الرجل ، مع الأسف ، كما أسلفتُ عليك مريض . ولعل المرض هو الذى شغله عن متابعة الحركة المصرية ومُدارسة قضيتها وتفهم ظواهرها وخوافيها ، فلم يكن ذلك المعوان الذى يتكى عليه رجال السياسة في معالجة القضية المصرية كلما جدّت عظيمات الأمور .

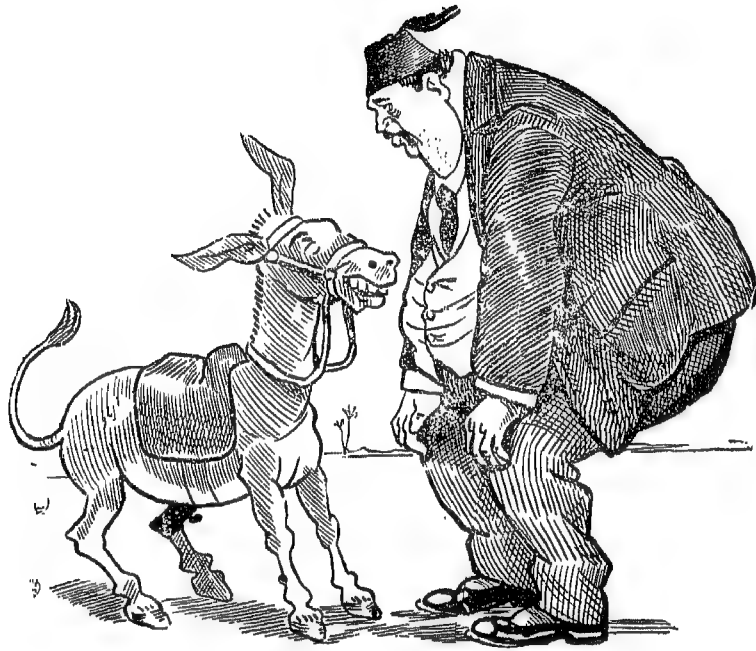
وفی الحق أن عزت باشا فی خطبہ البدیعة الرائعة عن السودان إنما كان رجلا وطنیا أكثر منه رجلا سیاسیا ؛ فان مهجة السفير أن یخاطب الرجال الرسمیین لا یتخطأهم الى خطاب الشعوب . ولعل ظرفنا الخاص هو الذی بعث حرارة عزت باشا وأطلقه فی الشعب الانجلیزی بتلك الخطب السوابغ . وكثیرا ما یفتقر فی أمثال تلك الرجاء القومية تجاوز ما یدعونه بالتقالید . ولقد أخذوا عزیز باشا عزت بطول إجازاته وتركه مثنوی عمله الأشهر الطوال الى سویسرا للتداوی وتارات الى مصر . والرجل لم یكن متجنبا ولا متبظرا فانه وأهله کلیمهما مریض ؛ وقد حدثك أن الطبیعة ظلمته ، وأی ظلم أشنع من ظلم المریض ، وحدثك أن الحكومة ظلمته اذ قلده بادی الرأي منصباً لاتضطلع صحته بأعبائه ، وإنه لیقدم الیها الاستقالة بعد الاستقالة وهی تأبی الا أن تردها الیه وأن تمسكه فی مركزه رغم أنفه ، والناس له فی هذا كذلك ظالمون .

ویجمل فی هذا الموضوع أن نذكر أن الرجل لم یبدل یده الى تناول راتبه طول مدة إجازاته فهو یردها علی خزانة الحكومة رداً .

وأنت تعلم من مناقشات مجلسی البرلمان أنه لم یدخل فی شأن « بیوت هوس » بید ولا رجل ، بل لقد أنكر هذه الصفقة أوّل الأمر وقضاها زیور باشا آنحہ فی سرمنه اذ هو فی سویسرا .

وإن من الغبن أن یقال ان عزیز باشا عزت (یشغل) سفیرا لمصر فی لندن ، ولو سألتنی عن وظيفته الحقيقية لقلت لك إنه (یشغل عیان) نسأل الله أن یلقیه العافیة .

وبعد ، فاذا كان لنا سفير في باريس وسفير في روما وسفير في الأستانة
وحق لنا سفير في طهران ! أفلا يصح أن يكون لنا سفير أيضا في لندن ! ؟
واذا كانت لنا صلات ببلاد فارس ، ولقارس في أسواقنا سجاجيد (وشيلان
كشمير) وسبح (كهرومان) فأنى أتخيل أن لانبجالترا في أسواقنا شيئا يُدعى
الفضة ، وآخر يُدعى الحديد ، وثالثا يُدعى الأقمشة على اختلاف أنواعها ، ورابعا
وخامسا . . فاذا لم يكن بيننا وبين المجالترا مسائل سياسية تستدعي أن نبعث
لها سفيرا ، فلا أقل من أن نبعثه ليا بيننا وبينها من وسائل تجارية !
واذا لم يكن في مقدور حكومتنا أن تقبل من عزت باشا ما يقدمه لها
من الاستعفاء ، فإن في مقدورها أن تعجل له الشفاء ! .



لا تَحَفَّ فاني والله خفيف ! ...

أبو نافع باشا أو عمدة سان استفانو

محمد أبو نافع باشا شخصية قوية يحق أن يتولاها الكتاب بالبحث والتحليل . على أنى اذا تجزأت عن أن أجلوّه تماما في هذه (المرأة) فلائ تلك الشخصية غريبة في بابها ، بل لعلها خرجت الى هذه الدنيا على غير سابق مثال . أما جسمه فيبدأ دقيقا من طرفيه كأيهما ، ثم ما يزال يتدرج في الغاظ من كلتا الناحيتين حتى يبلغ السمن منتهاه ، عند (خط استواه) . ثم هو أفوه ، غليظ الشفتين ، حديد العينين ، قصير العنق . اذا مشى حسبته هضبة تضطرب في زلزال ، واذا جلس خلته تلعة فصلت عن أحد الأجبال .

عاقل راجح العقل ، ذكي مشتعيل الذكاء ، غنى وافر الثراء ، يجمع من ألوان العلم بتاريخ هذا البلد وأحداثه وأحوال أسره ونفسيات رجالاته ما أحسب أنه لا يتسقى لرجل غيره .

وهو عذب الروح ، حلو الحديث ، بارع المجلس ، حاضر النكتة يرسلها في موضعها في توقر واحتشام . وقد دعى ، بحق ، عمدة (سان استفانو) لأنه ما تكاد تلوح علام الصيف حتى يسد الرجال الى الإسكندرية فيتخذ له دارا في الرمل ، فاذا كان الصباح من كل يوم نرج الى (كازينو سان استفانو) بفلس مجلسه الى يسار الداخل ، وفي هذا المجلس يحتشد الجمع الخافل من

الوزراء ، سابقين ولاحقين ، ومن مستشارى الاستئناف ، ومن المديرين ، ومن كبار الموظفين ، ومن الأعيان ، ومن أهل العلم والأدب ، لأن أبا نافع باشا يدعو كل من جاز به من أصحابه ويعزم عليهم بكل عزيمة ، ويأبى إلا أن يُقرب اليهم (على حسابه) كل ما يسألونه زِلْمانَ الكازينو من ألوان الحلوى والمياه المعدنية وما الى ذلك ، ثم ينطلق فى المجلس محاضرا مفاكها محبوبك الحديث متزين الكلام الى أن يحين وقت الغداء فينطلق (وحده) الى داره ، فاذا كان العصر عاد الى مجلسه وعاد اليه من ذكرت من صدور الناس ، فلا عجب اذا دُعِيَ أبو نافع باشا بعمدة سان استفانو ؛ ولا يدع اذا دُعِيَ مجلسه هنالك (بالمصطبة) .

وحدثت أن أبا نافع باشا شخصية غريبة ، والواقع أنه قد حيرنى فيه ، فلم أعد أدري أهو أكرم الناس أم هو أبخل الناس ؟ فلقد أرى نفسه تطيب بالإفناق على كل من استراح الى مجلسه فى سان استفانو بالغنا ذلك ما بلغ ، حتى ليخيل الى أننى لو طلبت (على حسابه) كل يوم (Consummation) بمائة جنيه لسيخا بها فى هشاشة ولطف أداء ، على أنه طالما وعدنى بأن يدعونى فى داره الى حفلة عشاء يُسمِنى فيها المرحومة المظ ، ومابرح يطاولنى فى هذا ويُنظرنى حتى ماتت ، فتحولنا بالعدة الى المرحومة الوردانية فما برح يطاولنى ويُنظرنى حتى قضت هى الأخرى الى رحمة الله ، ثم انتقلنا الى الشهيدة ، فعبد الحى حامى ، ففلان ففلانة ممن طواهم الردى وأتى الموت على آخرهم حتى وصلنا بالسلامة الى الآنسة أم كلثوم ، مد الله فى عمرها ، حتى يُحقق أبو نافع باشا وعده لى ويُحقق رجائى فيه ، ولا أظنى أدعوا لأحد بالبركة

في الحياة وطول العمر كما دَعَوْتَ لِلآنْسَةِ أمْ كُلُّثُومَ بَأَن يَحْيِيهَا اللهُ تَعَالَى حَتَّى
يَدْعُوْنَا لِسَمَاعِهَا أَبُو نَافِعَ بَاشَا ! كَذَلِكَ تَجْرَى الْأَحْدَاثُ فِي الْبَلَدِ فَيُهْرَعُ الْمِيَاسِيرُ
وغير المياسير إلى الاككتاب بالأموال الجلييلة والضئيلة ، وإيَّكَ لَا تَسْمَعُ
لَأَبِي نَافِعَ بَاشَا خَبْرًا ، وَلَا تَرَى لَهُ فِيهِمْ أَثْرًا ؛ عَلَى أَنَّكَ ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ،
تَرَاهُ يَسْخُو بِالْآلَافِ وَيَعِدُّ صَادِقًا بِالْآلَافِ وَهُوَ فِي صِمْتٍ وَكَرَاهَةٍ لِلْإِعْلَانِ !

وهو رجل غريب في احتياطه وتحرجه ، فلا تراه قَطُّ يَتَهافتَ عَلَى شَأْنٍ
عَامٍ ، وَلَقَدْ قَامَتِ الدُّنْيَا وَقَعَصِدَتْ وَأَنْصَدَعَ الْبَلَدُ أَحْزَابًا وَشِيْعًا ، ثُمَّ كَانَتْ
الْإِتِّخَابَاتُ يَتَقَاتِلُ النَّاسُ عَلَيْهَا وَيَتَنَاحِرُونَ فِيهَا ، وَأَبُو نَافِعَ بَاشَا جَائِمٌ بِجَنَّتِهِ
لَا يَمُحِّدُ إِلَيْهَا طَرَفًا وَلَا يَدَا

وإِنَّكَ لَتَجْلِسَ إِلَيْهِ وَالْخَطْبُ قَائِمٌ فَلا يَزَالُ يَسْتَدْرِجُكَ وَيَسْتَخْرِجُكَ
حَتَّى تَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ بِمَكْنُونٍ رَأَيْكَ إِذْ هُوَ مَتَحَفِّظٌ دُونَكَ مَا نَتَقَصَّدُ نَفْسَهُ مِنْ
الرَّأْيِ بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ ! فَإِذَا أَنْتَ عَاجَلْتَهُ عَلَى أَنْ يُفَضِّيَ إِلَيْكَ فِي الْحَدَثِ الْقَائِمِ
بِحَقِيقَةِ رَأْيِهِ وَدَخِيلَةِ اعْتِقَادِهِ ، رَاحَ يُرَجِّحُكَ بِفَنُونٍ مِنَ الْقَوْلِ يَطَايِهَا بِأَفَاكِيهِ
الْعَذَابِ ، حَتَّى يُيْتِمَّ عَلَيْكَ الْمَجْلِسُ أَوْ تَأْخُذَا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ .

وَإِذَا تَهَيَّأَ لَدَا أَنْ نَلْمَحَ جَانِبًا مِنْ هَذِهِ النِّفْسِ الْغَرِيبَةِ وَأَنْ نُصَوِّرَهَا لِلْفَارِئِ
كَمَا لَحْنًا وَكَمَا يَحْتَمِلُ التَّعْبِيرَ ؛ فَالْوَجْهُ فِي هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِنَّمَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْإِحْتِيَاطِ
الْتَّامِّ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ ، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَيَنْزِلِقُونَ فِي الْأَقْوَالِ
وَفِي الْأَعْمَالِ حَتَّى إِذَا بَانَ لَهُمْ وَجْهُ الْأَذَى فَيَا تَوَرَّطُوا فِيهِ رَاحُوا يَطْلُبُونَ
الْخَلَاصَ وَيَلْتَمِسُونَ لِهَذَا كُلِّ مَا دَخَلَ فِي ذَرْعِهِمْ مِنْ فَنُونِ الْحَيْلِ .

أما أبو نافع باشا فقد طَبَعَ نفسه بَادِيَ الرَّأْيِ عَلَى أَلَّا يَتَوَرَّطَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
(وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) !

وأبو نافع باشا وإن كَانَ شَيْخًا مُؤَفِّيًا عَلَى الْحَرَمِ إِلَّا أَنَّهُ مَا زَالَ قَبِيَّ الرُّوحِ ،
فهو لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الْقُعُودِ فِي الدَّارِ اسْتِرَاحَةَ الشُّيُخِ ، وَلَا يَرْضَى لِسِنِّهِ وَلَمَزَاتِهِ
أَن يَبْتَدِلَ بِالْجُلُوسِ عَلَى مَثَوْنِ الْقَهَوَاتِ ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ لِيَرْضَى شَيْخُوخَةَ سَنِّهِ
وَشَبَابَ رُوحِهِ جَمِيعًا ؟

لَعَلَّكَ تَعْرِيفُ قَهْوَةِ (سَبَلَنْدُبَارِ) وَأَنَّهَا تَقَعُ فِي سَرَّةِ الْعَاصِمَةِ ، وَأَنَّهَا تَجَازِ
كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ ، وَمُتَرَاوِيَّ كُلِّ سَانِحٍ وَبَارِحٍ ، وَإِذَا كَانَتْ لَا تَلْسُقُ لِمَجْلِسِ
أَبِي نَافِعٍ بَاشَا فَإِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ الْخَفُوفَ بِاللَّطْفِ لَيَسْتَشْقِي بِجِوَارِ (سَبَلَنْدُبَارِ)
دَكَانًا لِلْفُجَاهَةِ (سُوسِيدِي) الدَّخَانِي ، فَلَمَّا إِذَا لَا يَجْلِسُ فِيهَا أَبُو نَافِعٍ بَاشَا فَيَكُونُ
لَهُ كُلُّ حِظِّ الْجَالِسِينَ إِلَى الْقَهْوَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ تَكَالِيفِهِمْ ؟ ! نَعَمْ إِنْ
أَبَا نَافِعٍ بَاشَا لَا يُدْخِنُ وَلَكِنْ هَلْ هَذَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَتَنَجَّى بِمَجْلِسِهِ فِي دَكَانِ
دَخَانٍ ؟ . وَلَقَدْ كَانَ يَجْلِسُ فِيهَا أَبُو نَافِعٍ بَاشَا وَبِإِزَائِهِ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدُ الشَّرِيعِي بَاشَا
مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَيَجْلِسُ السَّبَّاعِي بَكُ الْمَصْرِيِّ وَبِإِزَائِهِ مُحَمَّدُ بَكُ حَتَّاتِهِ مِنَ النَّاحِيَةِ
الْأُخْرَى ، فَكَانَ أَرْبَعَتُهُمْ أَشْبَهَ بِالْأَرْبَعَةِ السَّبَّاعِ الْقَائِمَةِ عَلَى حِفَافِي كِبَرِي
قَصْرِ النَّيْلِ . وَلَقَدْ طَالَمَا اسْتَهْيَيْتُ سِجَاجِ سُوسِيدِي فَصَرَفْتَنِي عَنْ مَحَلِّهِ هَيْتَنِي
لِأُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ مِنْ سُكَّانِ الْآجَامِ .

وَمَا كَانَ أَوْسَعُ صَدْرُ هَذَا الرَّجُلِ وَأَبْلَغُ تَضَحُّيَتِهِ : فَاشَانُ مِنْ هَؤُلَاءِ
لَا يُدْخِنَانِ قَطُّ ، وَهُمَا أَبُو نَافِعٍ بَاشَا وَالسَّبَّاعِي بَكُ الْمَصْرِيِّ ، وَاشَانُ يُدْخِنَانِ ؛

على أن أحدهما لا يُؤثر إلا سجاير (جناكليس) ، فإذا انتهت سجايره رجا الخواجة
سوسيدى أن يبعث بغلامه ليحجى له بعلبة سجاير من محل جناكليس ! !
ولا تنس ما للأربعة الأقطاب من التكاليف الكثيرة والمطالب الوفيرة ،
هذا يشتمى السمك البربون ، وهذا يطاب (الملوخية) الجديدة ، وهذا
يبحث عن سواق للأتوموبيل ، وهذا يطلب (سمكيا) لإصلاح صناير الدار ،
وهذا يطلب (فكة) ورقة بخمسين جنيتها ، وليس يُحسَم كل هذه الخدم
إلا الخواجة سوسيدى المسكين !

ولعل كل عزاء الرجل عن هذا البلاء جميعه أن الله قيض لكانه حُرّاسا
أربعة فلا يستطيع اقتحامها أشدُّ سُراق الليل ولا أبرع لصوص النهار ؛ على أنه
حين اقتحِم دكانه إحدى الليالى ومِرق من خزانته أربعة جنديات قرر أن
(يُخَصِّم) من مرتب الفرسان الأربعة جلوس ثلاثة أيام ليُثْوِها في (ضرب بلطة)
على الرصيف حتى أذن الله وانقضى الأجل المحدود !



والواقع أن أبا نافع باشا أخذ نفسه بالآلا يطلع من صُور الحياة إلا على
نواحيها المفرحة ؛ وإنك لا تراه ، مهما جدد الجدد وأزم الخطب ، إلا مَرِحًا
طُروبا ، ولا تراه يعرض للأحداث العامة وغير العامة ، مهما جلّ شأنها ،
إلا من ناحية ما يستشِف فيها من نكتة بارعة ورأى طريف . ولو كان
يُغامر كما يغامر سائر الناس لا مُتَحِن في الحياة مُتَمَتِّم ولا مُصاب من مُرها
ما يُصيبون ؛ ولكنه رجل فيلسوف ، وإن فلسفته ، على أى حال وجهتها ،
كفلسفة سعيدة !



وما الدهرُ إلَّا من رُؤَاةِ قَصَائِدِي * إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

شوقي

لو بعث الله الناس كلاما ما عدا أن يكون شوقي نفسه قطعةً شعريةً
جميلةً نُظِمَتْ في الحب والرحمة . دقيق الحرم ، لطيف الحجم ، متناسق
الأعضاء ، مستدير الوجه ، لا تزال عليه آثار من ملاحه الصبا وإن
تكبرشت بعض معارفه بقضاء ما فوق الخمسين ، إذا أقبل عليك يحدثك مالت
حدقتاه عنك الى ما على يمينك أو شمالك أو ظلتا تضطربان بينهما حتى
لتحس أنه يوجه على غيرك الحديث . ولقد ينقطع عن المجلس ، وهو فيه ،
المرتين والثلاث ، فلا يسمع ولا يرى ما يدور بين يديه ، فإذا كان على هذه
الحال ورأيت رأسه يحتلج ، وقد رشق ظفر إبهامه بين ثنيتيه وراح يهمس
بالتناغم يسألها سألها ، فإياك أن تفتح عليه شأنه فإنه إنما يتلقى وحى
القرىض .

وهو خفيف الروح ، رفيق النفس ، نبيل الخلق واللسان ، ترى فيه
غبطة العصفور وترى فيه وداعة الحمام . وهو ، كما قلت لك ، قطعة من الحب
والرحمة . وإذا كان الحب ضعفا ، وإذا كانت الرحمة ضعفا ، فلا شك في أن
شوقي أضعف الخلق أجمعين . ولم أره يوما غاضبا ولا ممهدا سبيلا للقسوة
الى قلبه أو يده أو لسانه ؛ ذلك أن الله طبعه على أن يتناول بما فيه من
الحب كل ما يجري في هذا العالم من الخير ، وأن يتناول بما فيه من الرحمة

كُلُّ ما يجرى فى هذه الدنيا من أذى وشر . ومن هنا تُدرك كيف يشيع
ذِكْر السيد المسيح فى شعر شوقي ، وكيف يتغزل بأفئدة الغزل فى سجاياها العذاب !

مفْرِط فى حب نفسه ، شديد الوآع بها ، مفْرِط فى حب بنيه شديد الولع
بهم ، وإنه بعد ذلك لشديد الرِّقة للناس جميعا . أضعفه الحب وفلَّ من عزمه
فلا يستطيع أن يشهد مَشهدا مؤلما ، ولا يستطيع أن يسمع قصة حزينة ،
ولو قد عَرَض لسمعه أو لبصره شىء من هذا لولَّى منه فرارا ولملأ منه رُعبا .
ولوع بنفسه هَيُوب من أن تعترىها الأيام بمكروه ، وذلك الوجه فيما ترى من
دوام رضاه وارتياحه فلا تلقاه يوما شاكيا ولا برِّما بالحياة مهما تكدر العيش
وتتكرَّ وجه الزمان ، فانه اذا أصابه الخير هَشَّ له وفرح به ، وإن أصاب المكروه
سببا من أسبابه أطار خياله كل مطير فراح يلتمس له فى الضير خيرا وفى المكروه
نعمة ، ثم جاءك يحدثك بمنة الله عليه وعنايته به ، فهو رجلٌ يستخرج الرضا
ويستكره سبب الغبطة على كل حال ! وإنه ليهُرف فى هذا إسرافا شديدا
لقد يصل بك أحيانا إلى العَجَب من أمير الشعراء !



وبعد فلنكم عالجْتُ القلم على أن يقول فى « شاعرية » شوقي فعصَى ،
ولكم بعثته بالبيان عنها فتعذَّر وأبى ، وإن ظُلِّمنا أن تريدنى « السياسية
الأسبوعية » على هذا وأن تقضى به على اليوم قضاءً لازما !

وليت البيان يُعار فاستعير بيان شوقي ليصف شعر شوقي ، فليس يتعلَّق
بهذا إلا ذاك . وإنى لأخذ فى شعر هذا الرجل فما يزال يشفى ويرفنى حتى

أرأيت استحلت رُوحاً محضاً يطير بي عندَ السَّماك ، ويُحَلِّقُ مُحَلِّقُ الأَملاك ،
فاذا أتيت عليه وعدت الى نفسى فاذا أنا ما زِلْتُ جسداً رابضاً على هذه
الأرض ، واذا شعرتُ شوقى ما يزال نُوراً يترقِّقُ فى تلك السماء !

صائِد لا يُحْطِى سَهْمُهُ ، وإنه لَيُصِيبُ أرفعَ المعانى من أَوَّلِ رَمِيَةٍ ، وإنه
ليُترَفِّعُ بك اليها أو يَتَنَزَّلُ بها اليك فتسبيغها فى غير عسر ولا عناء ، وإن كنتَ
حق شاعراً بأنه إنما جاءك بما يُجاوِزُ تفكيرَكَ ويعلو على مدى تفكيرِكَ .
ولقد ضَرَبَ فى كل قَصْد ، وجال فى كل غرض ، فَبَرَعَ وبَدَّ وأتى
بالطريف لا تُدرك آثاره ، ولا يُلْحَقُ غِبارُه . ومن عجب الزمان أن يَحْرُجَ
شوقى فى هذا الزمان ! ولا أدري كيف فَرَّ هذا الشاعر من شاطئِ دِجْلَةَ الى
شاطئِ النِيل ، ولا كيف تسَلَّلَ من جِيلِ أبى نَواس الى هذا الجيل ؟ !

ولقد عارض الفحول من متقدمى الشعراء فى أجل قصيدهم فما قصر عن
مداهم ولا انحَدَلَ عن الخلق بهم ، بل لقد زاد عليهم من كل ما فَتَقَّ العصرُ
فى فنون المعانى يُرسلها فى الكلام الناصح فلا ينبو عنها الطبع العربى ولا يجد
لها عليه نُشُوزاً .

وشوقى هو شوقى من يوم شَدَنَ ومن يوم تحرَّكَ بالشعر لسانه ؛ آية من
آيات البيان يُدَوِّى بها السهل والجليل ؛ ولقد يكون التقدم فى السن ، والتبسُّط
فى العلم ، وتجارب الأيام ، وطول التمرين فى نظم الكلام ، قد بَسَطَت
فى أغراضه وبصَّرتَه بكثير من مضارب القلم ، الا أنها لم تَزِدْ ، وهيأت لها
أن تزيد ، فى « شاعريته » كثيراً ولا قليلاً ؛ ذلك أن هذه العبقرية إنما

تُخْلَقُ مع المرء خلقاً فلا تُنال بكسب ولا تعليم ، فإذا كان لشيء من ذلك فضلٌ ففي مجرد الصَّقل والتهذيب .

وليس يدعَا في سُنَّةِ الله أن يَنْتَضِحَ طَبْعُ شوقٍ بكل هذا البيان العربيّ وهو فني لا يَتَّصِلُ من أبناء العرب ، من أمه وأبيه بسبب ، ولا كان محصوله من لغتهم وأشعارهم ومحاضراتهم ومظاهر بلاغاتهم بأوفر من محصول من نشأ فيهم من أهل البيان فوثب دونهم وردَّ بيان بنى العباس عليهم — وإلا فمن علِّم البدر كيف يتألق ، ومن علِّم الغدير كيف يترقرق ، ومن علِّم السَّحَر الحفون ، ومن علِّم الغمامة كيف تسحَّ بالعارض المَهْتُون ، ومن علِّم الوردة كيف تنفّس بالأرج ، ومن علم البلبل كيف يتغنّى بالرمل والهزَّج ؟ ألا ذلك تقديرُ العزيز العليم !

وإن طبع شوقٍ ليجود بالشعر يُصيب به أعلى المعاني ما أحسبه يرتصد لها أو يعالجها بالمطاولة والتفكير، ولقد تراجعته في بعض شعره وما يطالب به فيروح يتفهَّمه معك مجاهدة الفكر وطول الشَّد على العَصَب ؛ حتى إذا فُرَّ هذا الشعر واحتدَّت فيه الأذهان نرج للناس فيه من وجوه المعاني ما يُحير العقول ويذهب بالألباب . فإذا رأيتَ بعد هذا شوقٍ ولم تستطع التوفيق بين مجلسه وحديثه في الأسباب الدائرة بين الناس ، وبين شعره الذي يُذيف بك، كلما قرأته ، على السَّماك ، فاعلم أن هناك موهبةً أو ما يدعونه «عبقريّة» ليس من الختم أن نتَّسق دائماً لسائر غرائز الإنسان !

وإذا رأيت أثر النعمة باديا على شعر شوقي فلا يتعاضدك هذا من لاغاه
إسماعيل طفلا ، ورباه توفيق يا فعا ، ونحرجه عباس رجلا ؛ وعاش عمره
متقلب الأعطاف في الترف والنعيم .

وقيل يوما لابن الرومي : كيف يسبقك هذا الغلام (عبد الله بن المعتز)
إذا وصف ، فلا تلحقه أنت ولا أضرابك من مشيخة الشعراء ؟ فقال : لأنه
إذا تكلم فإنما يصف آنية بيته !

وشوقي لا يحفل كثيرا بنسج الكلام وتزوير اللفظ وتزويق الדיباجة ؛
فإن طبعه قد انصرف أكثره الى المعاني حتى إنه ليحمل اللفظ أحيانا ما يشاءه
ويبهظه ويكد ذهن القارئ في التماسه وتبينه ؛ بل إنه في سبيل الوفاء بما
قصده من المعنى يأتي أحيانا بالغريب الشامس من اللفظ لا تدرك معناه
إلا بعد مراجعة وطول استخبار !

على أنني في هذه المرأة بسبيل تحليل نفس شوقي لا تحليل شعره ، فمن
كان لم يزل في حاجة الى التهدى لفاخر شعره وعيون قصائده ، وهي فوق أن
يتناولها العدد ، فليطلب بعضها في قصيدة صديقه شاعر النيل التي أعدها
لحقول الكبير ، فليس أقدر على الدلالة على فاحر شعر شوقي من حافظ إبراهيم .

وقد يُسِفُّ شوقي كما كان يُسِفُّ بشار وأبو نواس وأبو تمام والبُحْتَرى
والمُتَنَبى والمَعَرى ومن دخل في خللهم من جلة الشعراء ، ولا بد للطائر المحلق
أن يستريح هنيهة بالإسفاف ؛ وإنك لو وازنت بينهم وبينهم في نصاحة
شعرهم وحبك قريضهم وارتفاع معانيهم ، وفي إسفافهم ذاك وتزائل

ألفاظهم وفُسُولة معانيهم خَلَّتْهم إنما يعتمدون هذا اعتمادا استِجْاما بالعبث
أو تجنُّيا على ما أمكنهم الله من نواصي البيان !

وقلت لك إنني لست بسبيل تحليل شعر شوقي حتى أُضرب على ما تقدّم
به القولُ مختلف الأمثال .

وشوق فنّان كل الفنّان ، يَكُفُّ بفنه ويُغَرِّم بآثاره غراما شديدا . وليس
يُؤْذِيه شيء كما يُؤْذِيه أن تَرَه حَقُّه وتَحَيِّف من قدر صِنْعته .

ولقد قلت لك إنه ضرب بالشعر في كل قصد ، وجال به في كل غرض
فبَدَّ وبرَّع — استغفر الله إلا الهجاء فما أَحْصَى عليه فيه بيت واحد ، اللهم
الا أن يَتَنَسَّدَر ويلعب بالشعر لا يبلغ به الإقذاع ولا يتردّى به الى داعِسر
الكلام ؛ ولا أدرى أكان ذلك ترفعا من نُبل النفس وكرم النِّشأة ، والنِّزاهة
عن التندّس الى مكاره الناس ؟ أم أنه يرجع أيضا الى تلك الطبيعة الغريرة
والنفس الحُلوة ؛ فهيمات للعصفور أن يكون بازيا ، ولحمل الوداع أن
يَسْتَحِيل ذئبا عاديا !

وللكتاب شعر تعرفه بجفافه وبحريانه في مثل أقيسة المنطق ؛ وللشعراء
نثر تعرفه بترايل لفظه وانقطاع جُمْلِه وعدم استرسال معانيه . اذا عرفت هذه
القاعدة تهيا لك أن تعرف كيف يكون نثر أمير الشعراء ! . على انك واجد
لنثر شوقي حلاوة ، برغم ما يقيّده من أسجاع الكُهان ؛ ولكنها حلاوة شعر
لا حلاوة كلام مرسل ، وكأني به اذا اعتزم الكتابة في بعض الأغراض نظمها
أولا في شعر مُقَفَّى موزون ؛ ثم كسّره تكسيرا وبذره على القرطاس بذرا .

ولسان شوقى لا يفنى بمطالب أدبه ولا خياله ؛ وإن فيه فوق هذا لنجلا
يُمسكه عن الكلام أحيانا فى مواطن الكلام، وقل أن تراه يتبسّط فى حديث
إلا إذا خلا الى نفر من صفوة خُلّانه ؛ على أنك اذا شهدت مجلسه ولم يُسرَّ
إليك أحد بأنه شوقى لما سهّل عليك أن تُدرك أن هذا شوقى الذى ملا
طباق الأرض بيانا !



وليس جديدا أن أُنبّئك بأن العبقرية كثيرا ما تَضخّم فى المرء على
حساب ما فيه من الغرائز، وكأنى بها تملك عنها قدرا من غذائها حتى ما تدع
لبعضها قواما . وتلك العلة، لا شك ، فيما تراه وتسمعه من شدوذ جميع
العبقرين فى العالم . فإذا كنت منكرا على شوقى شيئا من الشدوذ فإنك منكراً
من حيث لا تريد ولا تجرؤ ، تلك العبقرية الفحلة . وحسبه أن أصبح بها
ملء الأرض، وحسبه أن أضغى بها حديثا للتاريخ طويلا .



وَأَنَا مِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ * بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

محمد محمود باشا

تاريخ كبير في سن صغيرة ، وشأن جليل ، في جسم ضئيل . ولعل محمد باشا محمود لم يُدرَفْ بعدُ على الخامسة والأربعين ؛ ولحُكَّ حين تقلب الذهن فيه يَنسرح منه الى مدى عريض . وحسبك أن ترى أرنبه أنفه وهو يُسَدُّها اذ يتحدَّث اليك أو ترفعها له الطبيعة ، لتُدرك أنه رجل لا يريد إلا أن يكون عظيما ، أو على الصحيح ، أنه لم يُخلَق الا لعظيم . وكذلك كان محمد محمود من يوم أخرجه أبوه للتعليم في مدارس الحكومة ، فكان في السنة الأولى أوَّلَ لِدَاتِهِ جميعا ، فلما تحوَّل الى الثانية كان فوق أن يكون أوَّلَ تلاميذها ، فوثب به الناظر الى السنة الرابعة طَفرة . وجاء عاهل وزارة المعارف "دندلوب" ليطالع مدرسة أسيوط ويتشرف على سير التعليم فيها ، فلما انتهى الى تلاميذ السنة الرابعة رأى غلاما دقيقا لا تُتصل سِنُّه بأهل تلك السنة ، فبعثه من مجلسه وجعل يسأله وجعل محمد يحسن الجواب في غير تَتَعُّع ولا وَرَع حتى راع دندلوب شأنه ، فسأل الناظر عنه فنفض له جملة خبره ، ففطع بدندلوب أن يُنقل تلميذ من السنة الثانية الى الرابعة طَفرة ، فعجل العقاب لذلك الناظر المسكين ! ولا أدري أكانت فعلة دندلوب حرصا على النظام أم حرصا على ألا تَفْسَحَ مدارس الحكومة طريق النبوغ لأهل النبوغ ؟ !

وَيَمَضِي محمد محمود في سبيله الى المدارس الثانوية بعد إذ يُحْزِر الشهادة الابتدائية، ولا يكون شأنه في الأولى إلا كَشَأْنَه في الثانية مجلًّا أبداً، حتى اذا ختم علومها وأحرز (البكالوريا) ، متقدماً مضى الى إنجلترا وانتظم طالباً في جامعة (أكسفرد) وكان له في جامعة أبناء الأعيان من الانجليز ما كان له هنا : إِيْجاب على الدرس، وطاعة في عزلة نفس، وتُبل يُلمِله الحسب، وكرامة يزكّيها ما يُفَضّي له أبوه من مال وتُسب . وكذلك عاش محمد محمود مثلاً أعلى للكرامة المصرية في أعظم جامعات إنجلترا بين أبناء أعظم أعيان الانجليز . وتأبى عليه (أرنبه أنفه) كذلك إلا أن يكون بينهم مجلًّا في إنجلترا كما كان مجلًّا بين معشره في مصر، حتى أحرز أعلى الشهادات . وينقلب الى مصر قريرةً به عين شيخ جليل طالما صدّق في خدمة مصر بلاؤه، وتمحّض في هواها إخلاصه ووفائه .

ودخل محمد في خدمة الحكومة مفتشاً، على ما أظن، في وزارة المالية، فسكّرتيراً لمستشار الداخلية؛ وتضيّق هذه المساحة عن همته كما تضيّق بمطامعه في الحياة، فيغامر في ميدان السياسة، ويغامر فيها بحزب قوى يجمع (أرباب المصالح الحقيقية) ورؤساء العشائر في البلاد، ويقوم « حزب الأمة » عَوَاناً بين الحزب الوطني وحزب القصر في تلك الأيام . وكان الشيخُ الجليلُ محمود باشا سليمان رئيس هذا الحزب، وكان الأستاذ الأكبر لطفي السيد على ترُجْمَانِه (الجريدة)، وتألّفت إدارته من مشيخة من أهل الرأي والعلم والغنى والحسب في البلاد، وكان لمحمد محمود فيه، من وراء الستار، رأىٌ كبير .

ويضطرب بعض الأمر على اللورد كرومر بشيوع الدعوة الوطنية واطراد قوتها واستفحالها يوما بعد يوم ، فيختط له نهجا جديدا ، ذلك بأن يستألف رؤساء العشائر (أصحاب المصالح الحقيقية) ويقيم على المرافق العامة أهل الكفايات من أولادهم أصطناعاً لهم من ناحية ، واستصلاحاً لأسباب الحكم من ناحية أخرى ؛ فقد كاد الأمر كله يفسد باستخذاء رجال الإدارة لـصغار المفتشين الانجليز واستنابهم في جميع الأمر لهم ، اذ تشب في الوقت نفسه حركة وطنية عنيفة تطالب بجلء الانجليز جملةً وتسليم مرافق البلاد لأهل الكفايات من أبناء البلاد ؛ فأقام محمد محمود مديراً للفيوم وسرعان ما جمع بين احترام الانجليز ورضاء المصريين ؛ وكان (لأرنبة أنفه) فضل عظيم في مدافعة يد المفتش عن معالجة الأمور ؛ الى قوة عزم ، وحسن إدارة ، وصلابة في موطن الرأي . ولعلها كانت في ذلك العصر ، أول تجربة أجدت على الطرفين جميعاً .

ثم عين محافظاً للقنال ، فديراً للبحيرة يستقل بالأمر حيثما كان ؛ (ويأنف) من أن يظهر على رأيه رأى انسان ، ولو كان المفتش ولو كان المستشار ، وتخرج من هذه الحال صدور وتضطعن على محمد باشا محمود قلوب ، فيترصد به المسكروه ، حتى كانت حادثة في البحيرة أرادوا أن يجاجلوا فيها المدير فما استطاعوا إلا أن يستقيل أو يقال من المنصب ، وهو لم يزل بعد في ميعة الصبا ، ضحية للاستقلال بالرأي ، أو ضحية (أرنبة الأنف) لا تنزل على المهانة في أى حال .

(١) الاستخذاء : شدة الخضوع والانقياد . (٢) أول الشباب .

ويَلْبِثُ حتى أعقاب سنة ١٩١٨ اذ تَقِف رُحَى الحرب فيتقدّم في أصحابه
 (١) الخطاريّف للطالبة بحق مصر في حريّتها واستقلالها ، ويؤلّفون الوفد المصري
 ويهيّيون بالبلاد فتنهض في آثارهم ؛ فتقبض السلاطة القويّة عليه مع دولة
 رئيس الوفد واثنين من أعضائه وتنفيهم الى مالطة ، فيمضون اليها بارزى
 الصدور ، مرفوعى الأنوف ، هاتفين ملء أشداقهم : ألا في سبيل مصر ،
 فلتحى مصر ! ثم كان من شأن الوفد وعظيم جهاده ما تعرّف ؛ ولا محلّ للمعاودة
 القول فيه ، إلا أن ألمع الى ما كان لمحمد باشا محمود فيه من كريم المنزلة
 بشدّة عقله ، وصحّة رأيه ، وقوّة عصبته في كَيْد الصعيد .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ندلّ على سعيه في أمريكا إذ شخّص عن
 الوفد لبث الدعوة المصرية هناك ، فتمّ له كلّ ما أراد من الفوز والنجاح .
 وهو من أوائل من استراحوا الى فكرة الائتلاف السعيدة إن لم يكن أولهم
 جميعا ، كما كان من أعظم العاملين على تحقيقها .



واذا كان محمد باشا محمود مدينا بماضيه الشريف القوى (لأرنبه أنفه)
 فهو كذلك مدين لها بكل ما يحقد عليه الناس . واسمح لى في هذا المقام
 يا متالى الوزير أن أضغط على (أرنبه أنفى) أنا الآخر فأرفعها بمقدار ٢ سنتيمتر
 حتى أستطيع أن أصارحك القول وأخاطبك خطاب الأكفاء للأكفاء :
 إن خلقنا من خلق الله ، وأنا مع الأسف منهم ، شديدا الموجدة عليك بما

يَظُنُّونَ فِيكَ مِنْ جَنَفٍ وَكِبَرٍ وَتَهَاؤُنَ لِلنَّاسِ . وَإِنَّكَ لَتَقْتَضِيهِمْ أَنْ يَتَوَافَوْا
لِدَعْوَتِكَ لِلشُّعُونَ الْعَامَّةِ بِكُلِّ مَا مَلَكَوْا مِنْ رَأْيٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ ، حَتَّى لَوْ دَعَا الْأَمْرُ
إِلَى ابْتِسَالِ الْمُهْجِ ، وَالتَّضَحُّيَةِ بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ؛ إِذْ أَنْتَ لَا تَحْتَفِلُ الْحَاضِرَ ،
وَلَا تَتَفَقَّدُ غَائِبًا ، وَلَا تَعُودُ مَرِيضًا ؛ وَلَا تَشِيعُ جِنَازَةَ مَيِّتٍ ، وَلَا تَأْبَهُ لِأَصْحَابِكَ
مَهْمَا كَرَّهَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَنَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ ؛ حَتَّى فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ
الدَّاعِيَةُ إِلَى مَصَانَعَةِ جَمِيعِ النَّاسِ ! !

وَإِنِّي لِأُصَارِحُكَ بِهَذَا (وَرَزَقَ عَلَى اللَّهِ) فَإِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ عَلَى هَذِهِ الْمَعْتَبَةِ
بِقِطْعِ (التَّالِيفُونَ) عَنِّي فَلَا أُحِجِّجُكَ عَلَى اللَّهِ إِلَيْهِ ، أَوْ مُجَازِيٍّ بِمَعْنَى مِنَ السَّفَرِ
فِي سَكَةِ الْحَدِيدِ فَإِنِّي (أَدُقُّ كَعْبَ) إِذَا لَمْ تَهَيِّأْ لِي الْجَمَالَ وَلَا الْبَرَادِينَ ، أَوْ مَعَاقِفِي
بِعَدَمِ التَّخَاطُبِ بِالْبَرِيدِ ، فَلَيْسَتْ كُتُبِي مِمَّا يَسِرُّ الْقَلْبَ ، وَتَفَضَّلْ مِنَ الْيَوْمِ
بِتَحْوِيلِهَا إِلَيْكَ فَإِنْ تَرَى فِيهَا إِلَّا مِطَالِبَةً (بِذِمَامَاتٍ) مُتَأَخَّرَةً ، وَتَذَكِيرًا بِدَيُونِ
مُنْسَاةٍ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ (فَاللَّهُ يَغْنِيهَا) عَنْ وَزَارَةِ الْمَوَاصِلَاتِ كُلِّهَا .

وَالْعَجَبُ أَنَّ مُحَمَّدَ بَاشَا مُحَمَّدٍ ، مَعَ هَذَا التَّجَنُّيِّ كُلِّهِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، رَجُلٌ
شَدِيدُ الْأَدَبِ ، لَطِيفُ الْمَحَاضِرَةِ ، إِذَا أُذِنَ لَهُ وَكُشِفَ لَكَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدَرِ
فَأَصْبَحَتْهُ فِي دَارِهِ يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلنَّاسِ ! وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُفَسِّرُ مَا أَقْنَعَنِي بِهِ رَجُلَانِ
فَاضِلَانِ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدَ بَاشَا مُحَمَّدٍ لَا كِبَرَ فِيهِ وَلَا بَرَمَ ^(٢) بِالنَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ الْمَرَضُ
الْمَلِيحُ الْمَتَدَارِكُ يَحْتَاذُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَرْجُو مِنْ مَصَانَعَةِ النَّاسِ وَتَقَدُّمِهِمُ وَالتَّجَمُّلِ
لَهُمْ . وَإِنِّي لِأَقْبِلُ هَذَا التَّعْلِيلَ (تَحْتَ الْحِسَابِ) . وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَى
مَعَالَى الْوُزَيْرِ بِالْعَافِيَةِ كُلِّهَا لِيَنْعَمَ هُوَ بِهَا وَيَنْعَمَ بِهَا النَّاسُ وَيَنْعَمَ الْوَطَنُ .

(١) إعراض وتنج . (٢) البرم بالناس : الضجر منهم .



خَلَدْتُ «نَهْضَةَ مِصْر» قَلْدَنِي تَمَنَّاها

مختار « التمثال »

بَيْضَة كبيرة ينتهى سِنها باحِيَّة دقيقة مرسلة على شكل مثلث متساوى الساقين . فاذا حُسِر الطربوش أو القُبعة عن رأس « البيضة » رأيت غديرا فى صفاء المرأة وهدهودها ؛ يقوم على حِفافِيه نبت غزير ، وتلك أيضا رأس مختار المثل . وهو كذلك من الرجال الذين تعرفهم بصلاتهم إذا ولّوا . وهو أبيض اللون ، له تانك الحدقتان المتحيرتان فى عيون أكثر نوابغ العالم . أما أنفه فبائن الطول والانتفاخ فى غير كبر ولا تيسيه ، يتدلّى على فم أولا غلظت فى شَفَتِيه ما بان ولا آنكشف . ثم هو بعد هذه (الزخمة) منتظم الجسم متنسق الجوارح ، والحمد لله !

ومختار ضخيم الصوت ؛ فاذا ارتفع صوته تسلّخت بعض شعبه ، وإذا تحدّث ، سواء بالعربية أو الفرنسية ، سمعت لفظ مجاور متحذّاق فى « تطجينة » عامل من سكان الحارطة بجوار سيدى أبى السعود !

والعجب أنه مع هذا كله رجل (Moderne) مطبوع فى تفكيره ، وذوقه ، وأآفته أيضا على آخر طراز . وهو ثائر عنيف الصولة على كل قديم ؛ متعصب شديد الهوى الى كل جديد . لا يعبأ فى طلب هذا لنفسه ولقومه بعادة ولا بتقليد ، ولا بما هو أشد من العادة والتقليد . وهو اذ نضا عنه الطربوش واتخذ القُبعة لم يكن مُفتاتا على عيشه الذى يكاد يكون أوربيا

خالصا، ومن العَجَب أيضا أنك تراه مع ذلك يستريح الى الحياة (البلدية) كلما تهيأت له، فيأكل بكل كَفَّة، ويُعَلِّق أسنانه فلا يتعبها بمضغ ولا قضم، فاذا اتصل الحديث في المجلس بألوان المنادرات والمفاكهات سمعت من مختار المطرب والمعجب من كل نادرة طريفة، (ونكتة) رائعة، حتى ليخيل لك أن سِنِّه تكترسيتين سنة، قضى نهارها في « التريعة » وليلها في غُشيان الأعراس « الوطنية » وحضور مجالس « الشعراء » على حواشي القهوات « البلدية » واستماع ما يتطرح به جماعات المتطرفين من فنون النكات !

وهو صافي النفس، عظيم الشجاعة، وافر الذكاء. لا يعنيه شيء في الدنيا قدّر عنايته بفنّه الجليل .

وفي الحق أن مختارا مجموعة (Assortiment) تضم ألوانا من الغرائب والمتناقضات. ولعل ذلك هو الذي هيأ له كلّ هذا النبوغ العظيم. وإن مثالا — يتروى فنّه في بلاد الغرب عن أكبر رجاله، ويطلّ السنين الطوال في ملابتهم ومحاكاتهم والتفطّن الى مداخل صنعتهم حتى يَحْدِثه ويبرّع فيه ثم ينقلب الى بلاده فاذا هو بصير بكل عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم ومحاضراتهم وماجلّ ودقّ من شؤونهم على نفرّق طوائفهم واختلاف بيئاتهم — هو جدير بأن يكون في فنّه الحُسان كلّ الحُسان .



وقد نجم مختار من أسرة كريمة، فلما يقع أنحرجته، على العادة، للتعليم في المدارس الابتدائية، فمضى في درسه غير واثق ولا مُتخلف، على أنه لم يكد

يَطْوِي فِي الطَّلَب بَضْعَ سَنِينَ حَتَّى بَدَأَ مِيلَهُ وَاضِحًا لِلرَّسْمِ وَالتَّصْوِيرِ، فَلَا يَرَى مُجَبًّا عَلَى دَرَسِ لِحَابِهِ عَلَيْهِ فِي « حَصَّة » الرِّسْمِ، وَلَا يَكَادِرُ هُوَ نَقْشًا بِأَدْيَا أَوْ صُورَةً مُعَلَّقَةً إِلَّا وَقَفَ يَتَصَفَّحُ وَيَتَأَمَّلُ وَيُسَيِّعُ كُلَّ حِسِّهِ فِي تَقَاسُمِهَا وَمُتَخَالَفِ خُطُوطِهَا وَتَعَارِيَجِهَا، ثُمَّ اسْتَلَّ رِيشَتَهُ وَأَدَوَاتِ رِسْمِهِ الصَّغِيرَةِ وَرَاحَ يَحْكُمُهَا بِكُلِّ مَا تَهَيَّأُ لِلْوَهْبَةِ النَّاشِئَةِ فِي ذَلِكَ الْحَرَمِ الصَّغِيرِ! وَظَلَّ كَذَلِكَ عِدَّةَ سَنِينَ لَا يَعْدُو مِنْهُ الْجَهْدُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى الْجَهْدِ فِي تَرْبِيَةِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَيْهَا السَّبِيلَ .

وَكَانَتْ مَدْرَسَةُ الْفَنُونِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا سَمُو الْأَمِيرِ الْبَايُ يُوسُفُ كِمَالٍ، فَتَرَعَتْ إِلَيْهَا نَفْسُ مُخْتَارٍ، وَلَعَلَّهُ لَقِيَ مِنْ أَهْلِهِ فِي دُخُولِهَا عَتَبًا، وَكَيْفَ لَا تَعْنَتْ الْأَسْرَ الطَّيْبَةَ، فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَيَّامِ، إِذَا رَأَتْ وَلَدَهَا يَمِيلُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقُوقِ أَوْ الطَّبِّ أَوْ الْهَنْدَسَةِ إِلَى طَرِيقٍ لَا تَنْتَهِي بِسَالِكِهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ (مَصُورَاتِي) أَوْ حَفَارًا أَوْ نَقَاشًا ؟ ! ...

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ تَمَّ لِمَحْمُودِ مُخْتَارٍ مَا أَرَادَ مِنْ دُخُولِ مَدْرَسَةِ الْفَنُونِ الْجَمِيلَةِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أَحْكَمَ، لَقَدْ تَمَّ مَا أَرَادَ اللَّهُ لِمَصْرٍ أَنْ تَرَى نَابِغَةً مِنْ أَبْنَائِهَا يَخْلُدُ نَهْضَتَهَا عَلَى تَطَاوُلِ الْأَعْصَارِ !

وَفِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ جَعَلَتْ مُوَهِّبَةٌ مُخْتَارٌ مُتَجَلِّيًا، وَجَعَلَ أَسَاتِيذُهُ يَخْصُمُونَهُ بِعِنَايَتِهِمْ لِمَا أُنْسُوا فِيهِ مِنْ مُخَايَلٍ تَدُلُّ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ عَظِيمٍ، وَبَقِيَ هُوَ، طَوَّلَ مَدَّةَ الطَّلَبِ، مُجَلِّيًا لَا يُلْحَقُ : لِحَابًا عَلَى الدَّرْسِ، وَاجْتِهَادًا فِي التَّمْرِينِ، وَتَوَافَا فِي كُلِّ دَقِيقٍ مِنْ مَلَا حِظَاتِ الْأَسَاتِيذِ، حَتَّى إِذَا بَرَعَ بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ

يبرع طالب في مدرسة الفنون الجميلة في مصر رأى أن ظمأه للفن لا ينقعه إلا أن يغترفه من أصفى ينابيعه ، فشخص من قوره الى باريس وانتظم في أعظم معاهدها ، أشخصه اليها كذلك سمو الأمير يوسف كمال ؛ وظل يتعلم على أكبر أساتيدها عشر سنين متواليات ما أحسبه انحدار في خلاها الى مصر مرة واحدة ، واجتمعت شهادة أقطاب الفن هناك على أن هذا الفتى «المصرى» ولا نخر ينبغي أن يكتب في جريدة كبار المثاليين . ويُعهد اليه في «معهد جربثان» بمنصب كبير ، وما كان هذا ليسوغ لأجنبي قط اولاً نبوغ مختار الذي أوفى على كل تقدير .

ويشاء الله لمصر أن تلبث ، ويشاء لها نهضة قوية يلتفت لها العالم كله ، فتثور موهبة مختار هناك وتأبى ثورتها أن تهدأ إلا اذا كشفت سر أبي الهول الذى ظل محقونا في أطواء صدره المقبوض آلاف السنين ، واذا أبو الهول يرفع ناكس الرأس من وجد وأسى على مصر الأسيرة العانية ، واذا أبو الهول يرفع رأسه وينبث ، لأن مصر نهضت تفك أغلالها لتسعى في أرض الله سعى الأحرار .

وكذلك نخرج تمثال «نهضة مصر» فتاة فلاحية تبث أبا الهول فيتحفز للوثاب ، ويتمياً للغلاب .

وما كاد مختار يعرض تمثال تمثاله في «صالون باريس» حتى هرع اليه كبار رجال الفن وأقبلوا على «المثال» المصرى بأتم الهناء والإعجاب ، وتطارت الأخبار الى مصر فسرهم ما اجتمع من شبابها كل تدب وطنى

تَجِيد ، وسرعان ما نَدَّوْا بالأموال واستندَوْا أبناء الوطن ليسجلوا « نهضة مصر »
ويرفعوا تَمثال مختار ويرفعوا معه اسم مواطنهم النابغة مختار، بجمعوا آلاف
من الدنانير إذا لم تُغن في العمل الجسيم فقد مهدت السبيل لأن تتولاه
حكومة الشعب ، ومن حق حكومة الشعب أن تتولاه .

وقد مضى العمل في تمثال « نهضة مصر » جِدًّا ، بمعونة الحكومة
وعطف الأمة ؛ وهو الآن يستشرف بفضل الله للتمام .

وإذا كان مختار قد لقي بادئ الرأي تجنبا وعنا من الدَّهماء وأشباه
الدَّهماء ، فتلكم سنة الكون في هؤلاء ؛ وهل قام في الدنيا مصلح إلا قاوموه
واعترضوا سبيله ؟ وهل نبغ فيهم نابغ إلا ملكهم الحسد من كل جانب فضوا
يتنقصونه بكل ما أحرزوا من جهل وتضليل ؟ .

ولقد تظاهر الجهل والحسد جميعا على تمثال مختار ، أما الجهل فمن
أولئك « العلماء الأقطاب » الذين تراهم يقضون بياض نهارهم وسواد ليلهم
على مُتون القهوات العامة ، أكفء لأن يفهموا كل نظرية ، ويبتوا في كل
قضية ، بحيث لا تخفى عليهم خافية من دقائق الفلك والطب والهندسة
والسياسة وعلوم القانون وفن تعبئة الجيوش (التكتيك) وكل ما تنقطع دونه
جهود فحول العلماء في جميع العالم !! . وأما الحسد فمن أولئك الذين يصابون
بضعف الهمة وقوة الشهوة ، وهم يابون إلا أن يكونوا عظاما إذ لم تُعدهم
مداركهم ولا مساعدهم في الحياة لعظيم .

تظاهر هؤلاء وأولئك على مختار وعلى تمثال مختار فانطلقوا بكل ما فيهم من « ذكاء » و « إخلاص » يتنقصونه ويتخيفون من قدره ؛ ومن الجهة « الفنية » ما شاء الله أيها « الخدعان » !!

وسار هذا الروح الخبيث في البلد تعضده دسائس من أدلى اليهم الزمن « الخائر » بمناصب لها شأن في بعض الحكم ، ولها جميع الشأن في أمر التمثال ، فلما زالوا يدافعونه ويعترضونه بألوان العواشير ، ومختار ساكن سكون الواثق بأن عبقريته وحدها كُفَّ لما أعد الحسدة وتقيق الجهال !!

وشاء الله أن تُقدر هذه العبقرية قدرها ، وأن يقتز مجلس النواب ، بين التهليل والتصفيق ، فرض المسال الضخم لإتمام تمثال « نهضة مصر » وكذلك تم الانتصار لمختار ، وإن شئت قلت تم الانتصار للعبقرية الفخمة على حسد الحسدة وعلى جهل الجهال .

وتظفر مصر أخيرا بتمثال نابغة من بنينا ، وأولئك الذين لا يطيقون أن يسمعوا مقالة الخير في أحد من مواطنهم ، قد أمست أنوفهم في الرغام . وفي الوقت الذي كان يُكرّفه عبقرى « القهوات » على مختار خطر فنه وخطر أثره . كانت تترادف عليه الدعوات من أكبر معاهد الفن في أوروبا لتستثمر موهبته في عملها الجليل إذ يابى مختار أن ينصرف عن تمثال « نهضة مصر » في سبيل المال وما هو أعر من المال .

وحسبه من الجزاء على هذا التمثال ، أنه مخلص نهضة مصر على تناول الأعصار والأجيال .

فهناك ثم هناك « ياسى مختار » !



?

الشيخ . .

ومالى لا أَمْرَحَ وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم يَمْرَحُ ، ولكن لا يقول
إلا حقا ، وسأمرح الليلة ، وسأحاول ان شاء الله ألا أقول إلا حقا . سأمرح
هذه الليلة لأنى أجد فى نفسى غِبْطَةً ومَرَاحاً وزوعاً الى المَرَحِ ، وسأفعل
فى غير تطرّف ولا عبَث .

على أنى لا أجتث الكلام اجتثاثاً ، ولا أُطلق موضوعَ حديثى افتلاتاً ،
وانما ألتبس له شخصيّةً أو شخصياتٍ جليمةً عظيمةً أخطأها الكتابُ وتجاوزها
المؤرخون ، وأخشى أن يتمادى الزمن فتطوى الأيام خبرها ، ولا تقدر نواشئ
الأجيال خطرَها ، وهذا ظلم لها وللتاريخ معا .

صديق أو غير صديق أوهما معا ، الأستاذ الشاب أو الكهل أو الشيخ
أוכל أولئك فى وقت واحد ، الشيخ أو السيد فلان ... !

وأنا أشهد أنه ما أطلع على مجلسى إلا حلت له الحَبْوَةُ ، ولا جلس الى
إلا آثرته بِتَكْرَمَتى ، ولا أرسل يده الى إلا أسرعُ بتقيلها ، لأنى أرى
فى الشيخ عظيماً وإن لم يرغبى أن فيه عظيماً .

هو شيخ طريقة ، وهو على صداقته وملازمته لشيخ مشايخ الطرق لا ترى ،
على ما يزعم شائئوه ، لطريقته فى سجلات مشيخة الطرق الصوفية عينا ولا أثراً !

(١) نشرت بجريدة السياسة فى إحدى (لألى رمضان) سنة ١٣٤٣ هجرية .

ثم هو رجل جمع بين أقصى مطالب الدنيا وأقصى مطالب الدين ، فتراه
كما يظهر الأصيل في خلفه الذكر يظهر العشاء في بار (أرستومين) !
ثم هو سعدى ، وعدلى ، وحر دستورى ، وحزب وطنى ، واتحادى ،
ومحايد ، ومستقل ، وغير هؤلاء جميعا !
ثم هو لا يفتُر عن أداء حقوق القصر ، ولا ينى عن التوافى فى كل موسم
إدار الوكالة الانجليزية ، ولا يترك جريدة السياسة إلا الى (بيت الأمة) !
ثم هو يُحسن العربية ويُحكم الانجليزية فلا تعرف إن كان غربيا تستشرقا
أو كان شرقيا مستغربا !

ثم هو مصرى ، وهو فى الوقت نفسه مطّاف الجالية الفارسية فى مصر
يتحدث على أمورها ويُدلى بمُهمّها فى هذه البلاد ، فلا تعرف إن كان عربيا
مستعجبا أو عجميا مستعربا !

ثم هو اذا تفقّيت أصله وقصصت منشأه ومنجمه رأيتَه من المنوفية ،
ومن الشرقية ، ومن البحيرة ، ومن الدقهلية ، ومن الفايومية ، ومن الجيزة ، ومن
المنيا ، ومن أسيوط ، ومن جرجا ، ومن قنا ، هو من هؤلاء جميعا ، وهو يلاغى
يلغاهم جميعا ، فترى فى لسانه لين حديث أهل البحيرة ، وجشوبة منطق أهل
الصعيد ، فتسمعه نذا نادى (محمد) قال (يا محمد) وإذا عبر عن الفم ، قال
(الحشم) .

هو ولا شك عصبه أُم تجول فى قفطان وجبة !

لا أعرف رجلا يُخصى من أسماء الناس وألقابهم وكُنَاهم ومعرفته من
يلابس كل إنسان من أصدقائه وأصهاره وأحمائه مثل ما يُخصى ذهن الشيخ .

